مواقف وعبر في

معركة اليرموك

**إعداد**

**الدكتور عبد العزيز بن عبد الله الـحُمَيدي**

**الأستاذ بكلية الدعوة وأصول الدين**

**بجامعة أم القرى**

**الطبعة الأولى**

**1435هـ - 2013م**

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ...

أما بعد : فنظرًا لما اشتملت عليه معركة « اليرموك» من التمثيل الصادق للهدف الإسلامي الأعلى ؛ وهو ابتغاء رضوان الله تعالى والسعادة في الآخرة ، من الذين حضروا المعركة من الصحابة رضي الله عنهم ومن التابعين .

ونظرًا لما اشتملت عليه من مغامرة كبيرة قام بها المجاهدون، وذلك حينما أقدم أربعون ألفًا من المسلمين على قتال أربعمائة ألف من الروم ، واستطاع المسلمون أن يهزموهم في يوم واحد .

ونظرًا لما اشتملت عليه هذه المعركة من إقدام شديد وثبات رائع وتضحية خالدة في القتال ..

ونظرًا لما اشتملت عليه من خطط حربية محكمة كان لها الأثر البارز في انتصار المسلمين .. لذلك ولغيره من الروائع التي جرت في هذه المعركة التي تُعدُّ نموذجًا لنجاح المسلمين في المجال الجهادي قررت أن أجمع بعض هذه الروائع في هذا الكتاب .

معركة «اليرموك »

كانت معركة « اليرموك » في العام الخامس عشر للهجرة النبوية، وقد سبقها معارك بين المسلمين والروم خلال ثلاثة أعوام، استولى فيها المسلمون على أكثر بلاد الشام .

إستعداد الروم للمعركة :

أخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من خبر عبد الله بن قرط الثمالي « أن أهل إيلياء وأهل قيسارية بعد يوم «فحل» تواصوا واجتمع رأيهم على أن يبعثوا وفدًا إلى ملك الروم هرقل بأنطاكية ، فيخبرونه بتمسُّكهم بأمره وإقامتهم على طاعته وبخلافهم العرب وكراهيتهم لهم، ويسألونه المدد والنصر، وإلا أمكنوهم من أنفسهم .

فلما أن جاءه هذا رأى أن يبعث الجنود، ويقيم هو بأنطاكية فأرسل إلى رومية وإلى القسطنطينية وإلى من كان من جنوده وعلى دينه من أهل الجزيرة وأرمينية، وكتب إلى عُمّاله أن يحشروا إليه كل من كان أدرك الحلم من أهل مملكته، فما فوق ذلك إلى الشيخ الفاني، فأقبلوا إليه، وجاء منهم مالا تحمله الأرض .

وجاءه جُرجير صاحب أرمينية في ثلاثين ألفًا .

وأتاه أهل الجزيرة ، وفزع إليه أهل دينه، وجميعُ من كان في طاعته منهم .

ودعا باهان،وكان من عظمائهم وأشرافهم، فعقد له على ثلاثمائة ألف رجل، ووجّه معه قوّاده وجنوده، وأمر لهم بجوائز، وأعطى باهان مائتي ألف درهم، ثم أعطى الأمراء مائة ألف درهم لكل واحد منهم .

وقال لهم :إذا اجتمعتم فأميركم باهان ، وقال: يامعشر الروم، إن العرب قد ظهروا على سورية، ولم يرضوا بها حتى تعاطوا أقاصي بلادكم، وهم لايرضون بالأرض والمدائن والبُرّ والشعير والذهب والفضة حتى يسبوا الأخوات والأمهات والبنات والأزواج ، ويتخذوا الأحرار وأبناء الملوك عبيدًا،فامنعوا في حريمكم وسلطانكم ودار مملكتكم .ثم وجههم إلى المسلمين » ([[1]](#footnote-1)) .

وهكذا سعى هرقل في جمع هذا الجيش العظيم وقرر أن يخوض آخر معركة مع المسلمين ليكون القرار النهائي بعدها، من تثبيت حكم الروم في سوريا بعد الانتصار أو الرحيل النهائي بعد الاندحار .

وبعد أخذ التجربة الكافية من المعارك السابقة تبين لهرقل أن الفرق شاسع بين جنود الروم وجنود المسلمين ، حيث يتَّسم المسلمون بالشجاعة الخارقة ، وسرعة الحركة، والتخطيط الحربي المتفوق، والتصرف الفوري عند حدوث المفاجآت، بينما لاتتوافر هذه الصفات العالية لدى جيش الروم .

ومن أجل أن يغطي هرقل هذا الفرق الشاسع فقد قرر أن يحشد كل مالدى الروم وأحلافهم من قوة حربية في الرجال والعُدَد، حتى يقابل الروم الفرد المسلم بعشرة أضعافه ، فيشغلوا بذلك جيش المسلمين عن التمتع بالصفات السابقة التي يتفوقون بها .

ومن أجل ذلك سعى هرقل حثيثا في جمع هذا الجيش الضخم .

مشورة أبي عبيدة مع قادته :

قال الأزدي في سياق روايته : فقدمت عيون من قِبَلهم [ يعني المسلمين] فأخبروا بمقالة هرقل ملكهم، بمسيرهم إلينا وبجمعهم لنا، ومن أجلب علينا معهم ومن غيرهم ممن كان على دينهم وفي طاعتهم .

فلما جاء أبا عبيدة خبرهم وعددهم وكثرتهم، وما أقبلوا به من غيرهم ممن كان على دينهم وطاعتهم من الجنود رأى ألا يكتم ذلك المسلمين، وأن يستشيرهم فيه لينظر مايؤول إليه رأي جماعتهم .

فدعا رؤوس المسلمين وذوي الهيئة والصلاح منهم ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ، ثم قال :

أما بعد ، فإن الله عز وجل وله الحمد قد أبلاكم أيها المؤمنون فأحسن البلاء عندكم ، وصدقكم الوعد، وأعزّكم بالنصر، وأراكم في كل موطن ما تُسرُّون به، وقد سار إليكم عدوّكم من المشركين بعدد كثير ، ونفروا إليكم فيما حدثني عيوني نفير الروم الأعظم، فجاؤوكم برًّا وبحرًا، حتى خرجوا إلى صاحبهم بأنطاكية، ثم قد وجّه إليكم ثلاثة عساكر ، في كل عسكر منها ما لا يحصيه إلا الله من البشر، وقد أحببت ألاَّ أغرَّكم من أنفسكم، وألاَّ أطوي عنكم خبر عدوّكم، ثم تشيرون عليَّ برأيكم، وأشير عليكم برأيي، فإنما أنا كأحدكم .

وقد تبادل أبو عبيدة المشورة مع قادته واستقر رأيهم أخيرًا على أن يغادروا مدينة «حمص» وأن يتشاوروا مع بقية القادة في الشام ثم يختاروا مكانا مناسبا للاجتماع ومواجهة الروم فيه ، قال: ثم بعث إلى حبيب بن مسلمة ، وكان استعمله على الخراج، فقال له : انظر ماكنت جبيته من الخراج من حمص فاحتفظ به حتى آمرك فيه بأمري، ولاتجبينَّ أحدًا ممن بقي من الناس حتى أحدث إليك في ذلك .

فلما أراد أن يشخص دعا حبيب بن مسلمة فقال: اردد على القوم الذين كنا صالحناهم من أهل البلد ماكنا أخذنا منهم ، فإنه لا ينبغي لنا إذلم نمنعهم أن نأخذ منهم شيئًا، وقل لهم: نحن على ماكنا عليه فيما بيننا وبينكم من الصلح لانرجع فيه إلا أن ترجعوا عنه ، وإنما رَدُّنا عليكم أموالكم أَنَّا كرهنا أن نأخذ أموالكم ولانمنع بلادكم، ولكنا نتنَحَّى إلى بعض الأرض ونبعث إلى إخواننا فيقدموا علينا ثم نلقى عدوّنا فنقاتلهم ،فإن أظفرنا الله بهم وَفيْنَا لكم بعهدكم إلا أن لاتطلبوا ذلك.

فلما أصبح أمرَ الناس أن يرتحلوا إلى دمشق .

ودعا حبيبُ بن مسلمة القوم الذين كانوا أخذ منهم المال فأخذ يرد عليهم، وأخبرهم بما قال أبو عبيدة، وأخذ أهل البلد يقولون: ردَّكم الله إلينا، ولعن الله الذين كانوا يملكوننا من الروم، ولكن والله لوكانوا هم ماردّوا علينا، بل غصبونا وأخذوا مع ماقدروا عليه من أموالنا ([[2]](#footnote-2)) .

هكذا عامل أبو عبيدة أهل حمص وهو في موقف القوة، وكان باستطاعته أن لايرد عليهم ما أخذ منهم بل إن في استطاعته أن يسلبهم مايملكون من أموال، ولكنه الوفاء العظيم الذي لاينبع من مجرد صدوره من نفوس جُبلت على مكارم الأخلاق، بل من الوازع الديني والتقيُّد الدقيق بأحكام الإسلام، فأبو عبيدة يرى أن أخذ الأموال منهم يوقع المسلمين في الإثم لأن من شروط الجزية أن يتولى المسلمون حماية أهل الذمة، فإذا لم يستطيعوا حمايتهم فلاحقَّ لهم فيها.

وكان لهذا الموقف العالي أثر عظيم في الدعوة إلى الإسلام حيث تعلَّق أهل البلاد بحب المسلمين ، وتمنوا أن ينصرهم الله على أعدائهم، كما جاء في رواية أخرى أنهم قالوا : لَوَلايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعنَّ جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ([[3]](#footnote-3)) .

رسالة إلى عمر :

أخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من خبر سفيان بن عَوْف بن معْقَل قال: بعثني أبو عبيدة بن الجراح ليلة غدا من حمص إلى دمشق ، وقال : ائت أمير المؤمنين فأبلغه عني السلام ، وأخبره بما قد رأيت وعاينت . وبما قد جاءتنا به العيون، وبما استقر عندك من كثرة العدو ، وبالذي رأى المسلمون من التنحِّي عنهم .

وكتب معه : أما بعد ، فإن عيوني قدمت عليَّ من أرض عدوّنا، من القرية التي فيها ملك الروم، فحدثوني بأن الروم قد توجهوا إلينا، وجمعوا لنا من الجموع مالم يجمعوه لأمّة قطُّ كانت قبلنا ، وقد دعوت المسلمين ، وأخبرتهم الخبر، واستشرتهم في الرأي، فأجمع رأيهم على أن يتنحوا عنهم حتى يأتينا رأيك، وقد بعثت إليك رجلا عنده علم ما قِبَلَنا ، فسَلْه عما بدا لك ، فإنه بذلك عليم، وهو عندنا أمين، ونستعين بالله العزيز العليم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام عليك» .

قال سفيان : فلما قدمتُ على أمير المؤمنين سلَّمت عليه، فقال: أخبرني عن الناس، فأخبرته بصلاحهم ، ودفاع الله عنهم .

ثم أخذ الكتاب ، فقرأه ، فقال لي : ويحك، مافعل المسلمون ؟

فقلت : أصلحك الله ، خرجت من عندهم ليلا من حمص، وتركتهم وهم يقولون نصلّي الغداة، ثم نرحل إلى دمشق، وقد أجمع رأيهم على ذلك فكأنه كرهه حتى عرفت الكراهية في وجهه .

ثم قال : لله أبوك ، مارجوعهم عن عدوهم وقد أظفرهم الله بهم في غير موطن من مواطنهم، وماتركهم أرضا قد احتووها وفتحها الله عليهم ، وصارت في أيديهم؟ وإني أخاف أن يكونوا قد أساؤوا الرأي، وجاؤوا بالعجز ، وجرؤوا عليهم عدوهم .

قلت : أصلحك الله ، إن الشاهد يرى مالا يرى الغائب، وإن صاحب الروم قد جمع لنا جموعا لم يجمعها هو ولا أحد كان قبله لأحد كان قبلنا، ولقد أخبرنا بعض عيوننا أن عسكرا واحدا من عساكرهم مرّوا بالعسكر في أصل جبل، فهبطوا من الثنية نصف النهار إلى عسكرهم ، فما ظنّك أصلحك الله ، بمن بقي منهم ؟

فقال : لولا أني ربَّما كرهت الرأي من رأيهم، والشيء من أمرهم فأرى الله يُخير لهم في عاقبة ذلك لكان هذا الرأي منهم أنا له كاره .

ثم قال لي : أخبرني ، أَجُمِعَ رأي جميعهم على التحويل ؟ [قال: نعم ] .

قال : فالحمد لله على ذلك ، فإني أرجو أن يكون الله جمع رأيهم على الخير ، إن شاء الله .

قال : فقلت ، ياأمير المؤمنين ، اشدد أعضاد المسلمين بمدد يأتيهم من قِبَلك قبل الوقعة ، فإن هذه الوقعة هي الفيصل فيما بيننا وبينهم، فإن أظفرنا الله بهم وأظهرنا عليهم هذه المرّة هلكت الروم هلاك عاد وثمود .

قال : فقال لي أبشر،وبشّر المسلمين إذا قدمت عليهم، واحمل كتابي هذا إلى أبي عبيدة ،وإلى المسلمين،وأعلمهم أن سعيد بن عامر بن حِذْيَم قادم عليهم بالمدد ، إن شاء الله ([[4]](#footnote-4)) .

رسالة إلى أبي عبيدة :

بسم الله الرحمن الرحيم .من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح وإلى الذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان،والمجاهدين في سبيل الله،سلام عليكم،فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإنه بلغني توجّهكم من أرض حمص إلى أرض دمشق،وتركُكم بلادًا قد فتحها الله عليكم وخلَّيتموها لعدوكم ،وخرجتم منها طائعين، فكرهت هذا من رأيكم وفعلكم، وسألت رسولكم عن رأيٍ من جميعكم ؟ فزعم أنه ذلك كان من رأي خياركم وأُولي النُّهَى منكم وجماعتكم، فعلمت أن الله عزّ وجلّ لم يكن ليجمع رأيكم إلا على توفيق وصواب ورشد في العاجلة والعاقبة فهوَّن ذلك عليَّ ماكان دخلني من الكراهية قبل ذلك لتحويلكم .

وقد سألني رسولكم المدد لكم ، وأنا ممدّكم قبل أن يقرأ عليكم كتابي هذا، وأشخص لكم المدد من قِبَلي إن شاء الله ، واعلموا أنه ليس بالجمع الكثير كنا نهزم الجمع الكثير ، ولا بالجمع الكثير كان الله ينـزل النصر عليهم ، ولربما خذل الله الجموع الكثيرة فوهنت، وقلّت وفشلت ولم تغن عنهم فئتهم شيئا ، ولربما نصر الله العصابة القليل عددها على الكثير عددها من أعداء الله، فأنزل الله عليكم نصره، وعلى المشركين من أعداء الله وأعداء المسلمين بأسه ورجزه والسلام عليكم ([[5]](#footnote-5)).

وهكذا كره عمر خروج المسلمين من حمص، ورأى أن ذلك يُجَرِّئ العدو على المسلمين، ويرفع من معنويتهم وقدرتهم على قتال المسلمين لظنهم بأن المسلمين هربوا عن مواجهتهم، ولكنَّ عمر مَحَى من نفسه تلك الكراهية لمَّا علم أن ذلك التصرف كان عن إجماع من أهل الرأي فيهم بعد عقد مجلس للمشورة ، وهذا تقدير منه لاجتماع كلمة المسلمين وتفاؤل بأن ذلك هو الخير، لأن الله تعالى لايجمع رأي أهل الرأي إلا على مافيه الخير والصواب .

وسيأتي أن رأي عمر هو رأي خالد رضي الله عنهما وأن مافي نفسه من كراهية تحوُّل المسلمين من حمص قد زال حينما عرف أن ذلك عن مشورة أهل الرأي وإجماعهم .

وإننا حينما نتأمل في واقع الجيوش الإسلامية المتفرقة في الشام، وما قام به الروم من سرعة الزحف نحو المسلمين يتبين لنا أن ماقام به أبو عبيدة بعد مشورة أصحابه هو الصواب ، لأنه لو كَتب لقادة المسلمين في الشام ليوافوه في حمص فإن هناك احتمالا كبيرًا أن يصل إليه الروم وأن يحاصروا حمص قبل أن يأتي القادة البعيدون ، فيتفرق بذلك جيش المسلمين ، وهم أحوج مايكونون إلى الاجتماع لمواجهة الروم الذين زحفوا مجتمعين .

مشورة أخرى مع القادة :

أخرج أبو إسماعيل الأزدي من خبر عبدالله بن قرط قال ،لما صلينا الغداة بحمص خرجنا نسير مع أبي عبيدة حتى قدمنا دمشق ، وبها خالد بن الوليد وقد تركنا أرض حمص،وليس فيها منا ديَّار بعد ماكنا افتتحناها ، وأَمَّنَّا أهلها ، وكتبنا بيننا وبينهم كتابا ، وصالحناهم عليها .

قال : فلما دخلنا دمشق أتانا خالد بن الوليد، وضممنا عسكرنا وعسكره فكان واحدًا ، فخلا أبو عبيدة بخالد، فأخبره الخبر، وبمشورة الناس عليه وبالرحلة ، وبمقالة العبسيّ في ذلك ([[6]](#footnote-6)) .

فقال خالد : أما إنه لم يكن الرأي إلا الإقامة بحمص حتى نناجزهم فيها ، فأما إذا اجتمع رأيكم على أمر واحد فإني لأرجو ألا يكون الله جمع رأيكم إلا على ماهو خير لكم .

فأقام أبو عبيدة بدمشق يومين ، وأمر سويد بن كلثوم القرشي، أن يردّ على أهل دمشق ماكان اجتبى منهم، الذين كانوا أُمِّنوا وصولحوا ، فردّ عليهم ماكان أخذ منهم .

وقال لهم المسلمون : نحن على العهد الذي كان بيننا وبينكم، ونحن معيدون لكم أمانا ومتمِّمون ماكنا صالحناكم عليه ([[7]](#footnote-7)) .

ثم إن أبا عبيدة جمع أصحابه،فقال لهم:ماذا ترون؟ أشيروا عليّ.

فقال يزيد بن أبي سفيان: أرى أن تخرج حتى تنـزل الجابية، ثم تبعث إلى عمرو بن العاص فيقدم عليك بمن معه من المسلمين، ثم نقيم للقوم حتى يقوموا علينا، فنقاتلهم ونستعين الله عليهم .

فقال شرحبيل بن حسنة، ولكني أرى إذ خلينا لهم عمّا خلّينا من أرضهم أن ندعها كلها في أيديهم، ونخرج لهم عنها، ونترك التخوم([[8]](#footnote-8)) بيننا وبين أرضهم ، فندنوا من خليفتنا ومن مددنا ، فإذا أتانا من المدد ما نرجوا أن نقوى به على عدوّنا قاتلناهم إن هم أتونا، وإلا أقدمنا عليهم إن هم أقاموا عنا .

وقال رجال من المسلمين : هذا - أصلحك الله -رأي حسن، فاقبله وارجع إليه ، فإن عاقبته إن شاء الله راجعة إلى خير .

قال معاذ بن جبل : أصلحك الله،وهل يلتمس هؤلاء من عدوهم أمرًا أضرّ عليهم ولا أشد مما تريدون بأنفسكم؟ تخلّون لهم عن أرض قد افتتحها الله عليكم وقَتَل فيها ملوكا من ملوك الروم وصناديدهم ، وأهلك الله فيها جنودهم العظام، فإذا خرج المسلمون منها، وتركوها لهم ، وكانوا فيها على مثل حالتهم الأولى التي كانوا عليها ، فما أشد على المسلمين دخولها بعد الخروج منها، وهل يصلح لكم أن تخرجوا منها وتدعوها، وتدعوا البلقاء والأردن ، وقد اجتبيتم خراجها إلا أن تدفعوا عنهم ؟ أما والله لئن خرجتم منها ثم أردتم دخولها بعد الخروج منها لَتُكابِدنّ من ذلك مشقة .

فقال أبو عبيدة : صدق وبرَّ ، ما ينبغي لنا أن نترك قوما قد اجتبيناهم خراجهم، وعقدنا لهم العهد حتى نعذر إلى الله في الدفع عنهم ، فإن شئتم نزلنا الجابية ، وبعثنا إلى عمرو بن العاص يقدم علينا، ثم أقمنا للقوم حتى نلقاهم بها .

فقال له خالد بن الوليد : كأنك إذ كنت بالجابية كنت على أكثر مما أنت عليه مكانك هذا الذي أنت به .

كتاب من عمرو بن العاص :

قال : فإنهم لكذلك يجيلون الرأي إذ قدم على أبي عبيدة عبد الله بن عمرو بن العاص بكتاب من أبيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإن أهل إيليا، وكثيرًا ممن كنا صالحناهم من أهل الأردن قد نقضوا العهد فيما بيننا وبينهم، وذكروا أن الروم قد أقبلت إلى الشام بقضِّها وقضيضها([[9]](#footnote-9)) ، وأنكم قد خلّيتم لهم عن الأرض ، وخرجتم منها، وأقبلتم منصرفين عنها، وقد جرأهم ذلك عليّ وعلى من قِبَلي من المسلمين، وقد تراسلوا وتواثقوا، وتعاقدوا ليسيرُنّ إليّ ، فاكتب إليّ برأيك، فإن كنت تريد القدوم عليّ أقمت لك حتى تقدم، وإن كنت تريد منـزلا من الشام أو من غيرها وأن أقدم عليك فأعلمني برأيك أوافِكَ فيه، فإني صائر إليك أينما كنت ، فابعث إليّ مددًا أقوى بهم على عدوّي وعلى ضبط ماقِبَلي، فإنهم قد أرجفوا بنا واغتمزوا فينا ، واستعدوا لنا، ولو يجدون فينا ضعفًا أو يرون فينا فرصة ماناظرونا، والسلام عليك ([[10]](#footnote-10)) .

كتاب من أبي عبيدة إلى عمرو :

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فقد قدم عليّ عبد الله بن عمرو بكتابك تذكر فيه إرجاف المرجفين واستعدادهم لك، وجرأتهم عليك، للَّذي بلغهم من انصرافنا عن الروم، وما خلَّينا لهم من الأرض، وإن ذلك والحمد لله لم يكن من المسلمين عن ضعف من بصائرهم ولا وهن من عدوِّهم، ولكنه كان رأيا من جماعتهم كادوا به عدوهم من المشركين ، ليخرجوهم من مدائنهم وحصونهم وقلاعهم ، وليجتمع بعض من المسلمين إلى بعض، ويجتمعوا من أطرافهم ، وينضم إليهم من كان قربهم، وينتظرون قدوم أمدادهم عليهم، ثم يناهضونهم إن شاء الله ([[11]](#footnote-11)) .

ثم ذكر أن المسلمين جميعا قد ساروا إلى الأردن ، وأن خالد بن الوليد قد تقدم في مقدمة الجيش حتى نزل اليرموك، وأن عمرو بن العاص أقبل حتى نزل معه ([[12]](#footnote-12)) .

رسالة من عمرو بن العاص :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عمرو بن العاص إلى بطارقة إيلياء ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله العظيم الذي لا إله إلا هو ، ومحمد أما بعد ، فإنا نثني على ربنا خيرًا ، ونحمده كثيرًا كما رحمنا بنبيه وشرفنا برسالته، وأكرمنا بدينه ، وأعزّنا بطاعته ، وأكرمنا بتوحيده والإخلاص بمعرفته ، فلسنا والحمد لله نجعل له ندًا ، ولانتخذ من دونه إلهًا ، لقد قلنا إذًا شططًا ، سبحانه وبحمده جل ثناؤه ، والحمد لله الذي جعلكم شيعًا وجعلكم في دينكم أحزابًا بكفركم بربكم ، فكل حزب بما لديهم فرحون ، فمنكم من يزعم أن لله ولدًا ، ومنكم من يزعم أن الله ثاني اثنين ، ومنكم من يزعم أن الله ثالث ثلاثة ، فبُعدًا لمن أشرك بالله وسُحقًا ، وتعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا ، والحمد لله الذي قتل بطارقتكم ، وسلب عزّكم ، وطرد من هذه البلاد ملوككم ، وأورثنا أرضكم ودياركم وأموالكم ، وأذلكم بكفركم بالله ، وتَرْككم ما دعوناكم إليه من الإيمان بالله ورسوله ، فأعقبكم الله الجوع والخوف والذل لما كنتم تصنعون ، فإذا أتاكم كتابي هذا فأسلموا تسلموا ، وإلا فأقبلوا إلينا حتى أكتب لكم كتابًا أمانًا على دمائكم وأموالكم، وأعقد لكم عقدًا ، تؤدون إليّ الجزية عن يد وأنتم صاغرون ، وإلا فو الله الذي لا إله إلا هو لأرمينّكم بالخيل بعد الخيل، وبالرجال بعد الرجال ، ثم لا أقلع عنكم حتى أقتل المقاتلة ، وأسبي الذرية، وتكونون كأمّة كانت فأصبحت كأنها لم تكن ([[13]](#footnote-13)) .

وهكذا خدع عمرو بن العاص أولئك الأعداء ومكر بهم ، حيث أظهر لهم أنه قد جمع جيشه وأنصاره لقتالهم، بينما هو فعل ذلك ليَبْقى بسلام إلى أن يصل جيش المسلمين، قبل أن بنتقض عليه أهل العهد فيكونوا مع أعدائه في بيت المقدس ثم يحصروه عن المسلمين ، إذا شعروا بضعفه .

وهذا مثل من الأمثلة التي برز فيها دهاء عمرو وظهرت حكمته.

قال : وأرسل الكتاب إليهم مع رجل نصراني على دينهم وقال له: عَجِّل عليَّ فإني إنما أنتظرك .

فلما قدم عليهم قالوا له : ويحك ما وراءك ؟ قال : لا أدري إلا أن الرجل قد بعثني إليكم بهذا الكتاب ، وقد وجَّه عسكره نحوكم ، وقال : ما يمنعني من المسير إليهم إلا انتظاري رجوعك .

قالوا له : أنظِرنا ساعة من النهار ، فإنا ننتظر عيونًا لنا تقدم علينا من قِبَل أمير العرب الذي بدمشق ، ومن قبل جند الملك الذي قد أقبل إلينا ، فننظر ما يأتينا به ، فإن ظننّا أن لنا بالعرب قوة لم نصالحهم، وإن خشينا ألا نقوى عليهم صنعنا ما صنع أهل الأردن وغيرهم ، فما نحن إلا كغيرنا من أهل الشام .

فأقام العلج حتى أمسى . ثم إن رسول أهل إيلياء الذي كان بعثوه عينا لهم أتاهم ، فأخبرهم أن باهان قد أقبل من قِبَل ملك الروم في ثلاثة عساكر ، في كل عسكر منها أكثر من مائة ألف مقاتل ، وأن العرب لما بلغهم ما سار إليهم من تلك الجموع علموا أنه لا قِبَل لهم بما جاءهم ، فانصرفوا راجعين ، وقد كان أوائل العرب دخلوا أرض قنسرين فأخرجوهم منها ، ثم أتوا أرض حمص فأخرجوهم منها ، ثم أتوا أرض دمشق فأخرجوهم منها ، ثم أقبلت العرب نحو الأردن نحو صاحبهم هذا الذي كتب إليكم ، والروم في آثارهم يسوقونهم سوقًا عنيفًا سريعًا إلى ما قِبَلَكم من البلاد .

فتباشروا بذلك ، وسرّوا به ، ودعوا العلج الذي بعث به عمرو بن العاص فقالوا له : اذهب بكتابنا إلى صاحبك ، وكتبوا معه :

أما بعد ، فإنك كتبت إلينا كتابًا تزكي فيه نفسك ، وتعيب ما نحن عليه ، والقول بالباطل لاينفع به أحد نفسه ، ولايضر به عدوه ، وقد فهمنا ما دعوتنا إليه ، وهؤلاء ملوكنا وأهل ديننا قد جاؤوكم ، فإن أظهرهم الله عليكم فذلك بلاؤه عندنا في القديم ، وإن ابتلانا بظهوركم علينا ، فلعمري لَنُقِرُّ لكم بالصغار ، وما نحن إلا كمن ظهرتم عليهم من إخواننا ، ثم دانوا لكم فأعطوكم ما سألتم .

وقدم الرسول بهذا الكتاب إلى عمرو،فقال له عمرو:ماحبسك؟ فأخبره الرسول بالخبر . إلى أن قال: فلم يكن إلا يومه ذلك حتى قدم خالد بن الوليد في مقدِّمة أبي عبيدة ، وكان أبو عبيدة قد خرج من أرض دمشق بالمسلمين إلى بلاد الأردن،وأمر عبد الرحمن بن حنبل فنادى الناس أن يسيروا إلى بلاد الأردن ، وأمر خالد بن الوليد ، فتقدَّم في مقدمته حتى نزل اليرموك ،وأقبل عمرو حتى نزل معه ([[14]](#footnote-14)).

مثل من فساد قادة الروم :

قال أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي، وحدثني أبو الجهم الأزدي عن رجل من تنُوخ كان مع باهان يُكنَّى أبا بشير قال، كنت نصرانيا ، فنصرتُ النصرانية على العرب، وأقبلتُ مع الروم، فجعلنا لانمرّ بأحد من أهل البلد إلا وجدناهم أحسن شيء ثناء على العرب في كل شيء من أمرهم وفي سيرتهم .

قال : وأقبلت الروم فجعلوا يفسدون في الأرض، ويسيئون السيرة، ويعصون أميرهم حتى ضجَّ منهم الناس، وشكاهم أهل القرى، وجعلوا لايفيقون من شرب الخمور والزنى، ولاتزال جماعة من أهل الذمّة يجيئون إلى ملكهم ومعهم الجارية قد افتضت ، وجماعة يشكون أن أغنامهم قد ذبحت وجماعة يشكون أنهم خُرِّبوا وسُلبوا .

فلما رأى باهان ذلك ومايصنعون قام فيهم خطيبا فقال :

يامعشر أهل هذا الدين، إن حجة الله عليكم عظيمة، إنه قد بعث إليكم رسولا ،وأنزل عليكم كتابا ، وكان رسولكم لايريد الدنيا، وزهّدكم فيها، وأمركم ألا ترغبوا فيها ولاتظلموا أحدا، فإن الله لايحب الظالمين ، وأنتم الآن تظلمون، فماعذركم غدا عند الله وقد تركتم أمره وأمر نبيكم وما أتاكم به من كتاب ربكم ؟ وهذا عدوكم قد نزل بكم ، يقتلون مقاتلتكم ويسبون ذراريكم ، وأنتم تعملون بالمعاصي ، فلا تنـزعون منها خشية العقاب، فإن نزع الله سلطانكم من أيديكم وأظهر عليكم عدوكم فمن الظالم إلا أنتم ؟ فاتقوا الله وانزعوا عن ظلم الناس .

فقام إليه رجل من أهل البلد ، فشكا إليه مظلمة، قال: فتكلم بلسانهم وأنا أفقه كلامهم ، فقال : أيها الملك ، عشتَ الدهر، ووقيناك بأنفسنا مكروه الأحداث، إني امرؤ من أهل البلد، من أهل الذمة ، وكانت لي غنم ، أظنها مائة شاة أو تنقص قليلا، وكان فيها ابن لي يرعاها ، فمرّ بها عظيم من عظماء أصحابك، فضرب خباءه إلى جنبها، ثم أخذ حاجته منها، ثم أنهب بقيتها أصحابه، فجاءته امرأتي ، وابنتي، فشكت إليه انتهاب أصحابه غنمي، وقالت: أما ما أخذت لنفسك فهو لك ، وأما ما أخذ أصحابك فابعث إليهم فليردّوا علينا غنمنا .

فلما رآها أمر بها ، فأدخلت بناءه ، فطال مكثها عنده، فلما رأى ذلك ابنها دنا من باب البناء ، فطالع ، فإذا هو بصاحبه ينكح أمه أو أخته، وهي تبكي ، فصاح الغلام، فأمر به فقتل ،فأخبروني ذلك فأقبلت إلى ابني ، فأمر بعض أصحابه فشدوا عليَّ بالسيف ليضربوني، فاتقيتهم بيدي فقطعوها .

فقال له باهان : أفتعرفه ؟ قال : نعم . قال : وأين هو ؟ قال: هو هذا العظيم من عظمائكم .

قال: فغضب ذلك العظيم الذي فعل بالرجل مافعل، وغضب له ناس من أصحابه، وكان فيهم ذا شأن وشرف، فأقبل ناس من أصحابه أكثر من مائتي رجل فشدوا على المستعدى، فضربوه بأسيافهم حتى مات، ثم رجعوا وباهان ينظر ما صنعوا .

فقال بلسانه:العجب كل العجب ، كيف لاتُهَدُّ الجبال وتتفجر البحار، وتزول الأرض،وترعد السماء لهذه الخطيئة التي عملتموها، وأنا أنظر لأعمالكم العظام التي تعملونها،وأنا أرى وأسمع، إن كنتم تؤمنون بأن لهؤلاء المستضعفين المظلومين إلها ينتصر لهم وينصف المظلوم من الظالم فأيقنوا بالقصاص،ومن الآن يعجَّل لكم بالهلاك، وإن كنتم لاتؤمنون بذلك فأنتم والله عندي شر من الكلاب وشر من الحمير،ولعمري إنكم لتعملون أعمال قوم لايؤمنون،ولقد سخط الله أعمالكم ،وليكلنَّكم إلى أنفسكم ، وأما أنا فإني أشهد أني بريء من أعمالكم، وسوف ترون عاقبة الظلم ، وإلى أي مصير تصيرون،ثم نزل([[15]](#footnote-15)) .

فهذه القصة تبين ماكان يزاوله طغاة الروم من الظلم الشنيع، فهذا الأمير الرومي قد سحق أسرة من أسر أهل الشام، وارتكب معها ثلاث جرائم : نهب المال، والزنى ، والقتل ،حيث كان هو وأمثاله يعدُّون المستضعفين غنيمة لمن وجدهم لأنهم لاناصر لهم من قُوَى البشر، أما رب البشر فإنهم لايؤمنون به إيمانا يحرك مشاعرهم ويحكم تصرفاتهم.. إنهم يؤمنون بوجوده ولكن لاوجود لـه في قاموس حياتهم، وبالتالي فإنهم يفقدون الوازع الديني الذي يترتب على الإيمان الحي بالله تعالى واطلاعه على خلقه وهيمنته عليهم ومحاسبته إياهم ثم جزائه إياهم إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، ولذلك فإن هؤلاء الذين فقدوا العقول السليمة يتصرفون تصرف البهائم التي لايردعها رادع عن شهوة ولاتتخاطب إلا بقرونها ومخالبها وقواطع أسنانها ، فلذلك يأكل القوي الضعيف في تلك المجتمعات كما هو الحال في حظائر الحيوانات والغابات .

ولقد كان باهان واسع العقل عظيم الإدراك حينما أدرك العلاقة المباشرة بين الأخلاق وتقرير مصير الدول والجيوش، فأبان أن مرتكبي الظلم ليسوا جديرين بالنصر على الأعداء .

ولقد كان هذا الفساد الذي ساد معسكره الكبير من أقوى ماواجهه من التحطيم المعنوي والفزع الشديد من الانهزام والاندحار على يد أمة الأخلاق والعدل .

وسيأتي مزيد بيان لهذا الأمر عند عرض كلام باهان في الاستشهاد بهذه القصة وماكان يعانيه من التشاؤم القاتل بسبب فُشُوِّ الظلم في جيشه .

رسالتان بين أبي عبيدة وعمر :

أخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من خبر عبد الله بن قرط : أن معاذ بن جبل ورجالا معه من المسلمين قالوا لأبي عبيدة ابن الجراح حين أقبل من دمشق إلى معسكره باليرموك : ألا تكتب إلى أمير المؤمنين تُعْلمه علم هذه الجيوش التي قد جاءتنا ، وتسأله المدد؟ قال : بلى ، وكتب إليه .

أما بعد ، أُخْبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أن الروم نفرت إلى المسلمين برّا وبحرًا، ولم يخلفوا وراءهم رجلا يطيق حمل السلاح إلا جاشوا به علينا، وخرجوا معهم بالقسيسين والأساقفة، ونزلَتْ إليهم الرهبان من الصوامع، واستجاشوا بأهل أرمينية وأهل الجزيرة، وجاؤونا وهم نحو من أربعمائة ألف رجل، وأنه لما بلغني ذلك من أمرهم كرهت أن أغرَّ المسلمين من أنفسهم، أو أكتمهم مابلغني عنهم، فكشفت لهم عن الخبر، وشرحت لهم من الأمر، وسألتهم عن الرأي، فرأى المسلمون أن يتنحوا إلى أرض من أرض الشام، ثم نضم إلينا أطرافنا وقواصينا، وتكون بذلك المكان جماعتُنا، حتى يقدم علينا من قِبَل أمير المؤمنين المددُ لنا، فالعجَلَ العجل ياأمير المؤمنين بالرجال بعد الرجال ، وإلا فاحتسب أنفس المؤمنين إن هم أقاموا، ودينهم منهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم مالا قِبَل لهم به إلا أن يمدهم الله بملائكته ، أو يأتيهم بغياث من قِبَله ، والسلام عليك .

فلما أتاه الكتاب دعا عمر المهاجرين والأنصار، فقرأ عليهم كتاب أبي عبيدة، فبكى المسلمون بكاء شديدًا، ورفعوا أيديهم ورغبتهم إلى الله أن ينصرهم ويعافيهم ، وأن يدفع عنهم، واشتدت شفقتهم عليهم وقالوا: يا أمير المؤمنين ، ابعثنا إلى إخواننا، وأقرَّ علينا أميرًا ترضاه لنا، أو سِرْ بنا أنت، فو الله إن أُصيبوا فما في العيش خير بعدهم .

قال: عبد الله بن قرط فكل من قدمت عليه من المهاجرين والأنصار ظهر منهم الجزع والشفقة على المسلمين مخافة الهلاك عليهم، ولم أر أحدًا كان أشد جزعًا ولا أظهر شفقة من عبد الرحمن ابن عوف ، ولاأكثر مقالة : سر بنا يا أمير المؤمنين ، فإنك لو قدمت الشام لقد شَدَّ الله قلوب المؤمنين وأرعب قلوب الكافرين .

قال : فاجتمع رأي أصحاب رسول الله على أن يقيم عمر، ويبعث المدد ، ويكون ردءًا للمسلمين .

فقال عمر لعبد الله بن قرط: كم بين المسلمين وبين الروم يوم خرجت إليّ؟ قال: قلت مابين أدناهم وبين المسلمين ثلاث أو أربع ليال، وبين جماعتهم وجماعة المسلمين خمس ليال .

فقال : هيهات ، متى يأتي هؤلاء غياثنا .

قال : فكتب عمر إلى أبي عبيدة :

أما بعد ، فقد قدم عليَّ أخو ثمالة بكتابك تخبرني فيه بنفير الروم إلى المسلمين برًّا وبحرًا ، وبما جاشوا عليكم من أساقفتهم وقُسُسُهِم ورهبانهم ، وإن ربنا المحمودُ عندنا والصانعُ لنا، والعظيمُ ذو المنِّ والنعمة الدائمة علينا، قد رأى مكان هؤلاء الأساقفة والرهبان حيث بعث محمدًا بالحق وأعزه بالنصرة، ونصره بالرعب على عدوه، وقال وهو لايخلف الميعاد : ﭽ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ [الصف :9] فلا تهولنّك كثرة ماجاءك منهم ، فإن الله منهم برئ، ومن برِئ الله منه كان قَمِنًا ألا تنفعه كثرة ، وأن يكله الله إلى نفسه ويخذله، ولاتوحشك قلة المسلمين، فإن الله معك وليس قليلا من كان الله معه، فأقم بمكانك الذي أنت به حتى تلقى عدوك وتناجزهم ، وتستظهر بالله عليهم، وكفى به ظهيرًا ووليًّا ونصيرًا .

وقد فهمت مقالتك « احتسب أنفس المسلمين إن هم أقاموا ، ودينهم إن هم تفرقوا ، فقد جاءهم مالاقِبَل لهم به إلا أن يمدهم الله بملائكته، أو يأتيهم بغياث من قِبَله» وايْم الله لولا استثناؤك بهذا لقد كنت أسأَت ، ولعمري إن أقام لهم المسلمون وصبروا فأصيبوا لَما عند الله خير للأبرار ، ولقد قال الله عز وجل : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ [الأحزاب:23] فطوبى للشهداء، ولمن عقل عن الله ممن معك من المسلمين لأسوة بالمصرَّعين حول رسول الله في مواطنه، فما عجز الذين قاتلوا في سبيل الله ، ولاهابوا الموت في جنب الله، ولا وهن الذين بقوا من بعده، ولااستكانوا لمصيبتهم، ولكنهم تأسَّوْا بهم وجاهدوا في الله من خالفهم منهم وفارق دينهم .

ولقد أثنى الله على قوم بصبرهم فقال: ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ [آل عمران : 146- 148 ] ، فأما ثواب الدنيا فالغنيمة والفتح ، وأما ثواب الآخرة فالمغفرة والجنة .

واقرأ كتابي هذا على الناس ، ومرهم فليقاتلوا في سبيل الله، وليصبروا كيما يؤتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، فأما قولك إنه قد جاءهم ما لاقِبَل لهم به فإن لايكن لكم بهم قِبَل فإن لله بهم قبَلاَ ، ولم يزل ربنا عليهم مقتدرا، ولو كنا والله إنما نقاتل الناس بحولنا وقوتنا وكثرتنا لهيهات ماقد أبادونا وأهلكونا، ولكن نتوكل على الله ربنا، ونبرأ إليه من الحول والقوة، ونسأله النصر والرحمة، وإنكم منصورون إن شاء الله على كل حال، فاخلصوا لله نياتكم، وارفعوا إليه رغبتكم : ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ [آل عمران: 200] .

وإنا لنلحظ في كتاب عمر تركيزًا قويًّا على توحيد الله تعالى بالتذكير بلزوم استصحاب التوكل عليه واستمداد النصر منه وشكره على نعمه ، والشعور القوي بأن العامل الأعلى في النصر هو استحضار المجاهدين معية الله تعالى بنصره وتأييده، وعدم النظر لكثرة الأعداء ، لأن الله تعالى قد تخلى عنهم، ومن تخلى الله عنه فلا قوة له وإن ملأالأرض عددًا وعتادًا .

قال عبد الله بن قرط : دفع إليَّ عمر هذا الكتاب وأمرني أن أعجِّل المسير، وقال: إذا قدمت على المسلمين فسرْ في صفوفهم، وقفْ على أهل كل راية منهم ، وأخبرهم أنك رسولي إليهم، وقل لهم: عمر يقرئكم السلام، ويقول لكم : يا أهل الإسلام اصدقوا اللقاء ، وشدُّوا عليهم شدَّ الليوث، واضربوا هامتهم بالسيوف، وليكونوا أهون عليكم من الذَّر ، فإنا قد كنا علمنا أنكم عليهم منصورون ، فلا تهُوَلنَّكم كثرة عدوكم، ولاتستوحشوا لمن لم يلحق بكم منكم .

قال: فركبت راحلتي ، وأقبلت مسرعا أتخوف أن لا أدرك الناس، وأن تفوتني الوقعة .

قال: فانتهيت إلى أبي عبيدة يوم دخل سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجمحي في ألف رجل من المسلمين من قِبَل عمر على أبي عبيدة في عسكره .

قال: فشجع ذلك المسلمين ، وسرُّوا بمددهم، وقدمت بكتاب عمر على أبي عبيدة، فقرأه على الناس، فسرُّوا برأيه لهم، وبما أمرهم به من الصبر، وبما بشَّرهم به من الفتح، وبما رجا لهم في ذلك من الأجر ([[16]](#footnote-16)) .

وهكذا رأينا كيف أن المسلمين تهيَّبوا من لقاء عدوهم مع أن عددهم يقارب الأربعين ألفا ، وكانت أكثر أصوات القادة تنادي بالرحيل عن الشام حتى يتقوى المسلمون ثم يعودون لمناجزة أعدائهم.

وإذا ماقارنا بين أحداث هذه المعركة الفاصلة بين المسلمين والروم بأحداث معركة القادسية الفاصلة بين المسلمين والفرس نجد أن المسلمين وعددهم ثلاثون ألفا . قابلوا الفرس وعددهم مائتا ألف، ولم يتهيبوا منهم . ولم يُلِحُّوا في طلب المدد، ولم يفكروا بالتحول من العراق حتى يكمل استعدادهم ، والمسلمون هم المسلمون في ذلك التاريخ سواء في الشام أو في العراق، بل إن كثيرًا من أبطال العراق كانوا مع خالد بن الوليد في الشام وحضروا معركة اليرموك من أمثال القعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي، ثم انصرفوا بعد ذلك إلى العراق وحضروا آخر معركة القادسية .

وهذا دليل واضح على أن معركة اليرموك كانت أضخم بكثير من معركة القادسية .

عدد أفراد الجيشين

والآن وبعد أن تبين لنا حجم هذه المعركة فماذا كان عدد جنود الروم ؟

لقد تبين لنا من كتاب أبي عبيدة السابق إلى أمير المؤمنين أن عدد الروم كانو نحو أربعمائة ألف ، وقد جاء ذلك في رواية أخرجها الأزدي عن عبد الله بن قرط الثمالي وهو صحابي شهد المعركة .

ويؤيد ذلك ما أخرجه الأزدي أيضًا عن أبي جهضم الأزدي عن رجل من الروم أسلم وحسن إسلامه قال : كنت مع باهان - يعني قائد الروم - في عسكرهم ذلك .. إلى أن قال : قال باهان : فكيف ترون بقتالهم فإنا أكثر من عشرة أضعافهم ، نحن نحو من أربعمائة ألف، وهم نحو من ثلاثين ألفًا أو أقل أو أكثر قليلا ([[17]](#footnote-17)) .

فهذا دليل على أن جيش الروم يقارب أربعمائة ألف .

كما جاء في رواية ثالثة أخرجها الأزدي أيضًا عن أبي خداش عن سفيان بن سليم عن عبد الله بن قرط الثمالي : وفيها أن أهل إيلياء- القدس - أرسلوا رسولا ينظر لهم جيش الروم فأخبرهم أن باهان قد أقبل من عند هرقل في ثلاثة عساكر كل عسكر منها أكثر من مائة ألف مقاتل ([[18]](#footnote-18)) .

فهذا يدل على أن جيش الروم مابين ثلاثمائة وأربعمائة ألف .

أما الرواية التي تقول إن جيش الروم كان مائة ألف فهي مستبعدة لأن المسلمين قابلوا في أجنادين مائة ألف من الروم ولم يأبهوا بهم مع أن هذه المعركة كانت هي الأولى من المعارك الكبيرة .

وأما القول بأنهم كانوا مائتي ألف أو مائتين وأربعين ألفا فهما محتملان لكن القول الأول قد روي من طرق متعددة ، كما أن الصفات التي أطلقت على جيش الروم تدل على أنهم كانوا أكثر من هذا العدد، حيث جاء في كتاب أبي عبيدة « وجمعوا لنا من الجموع مالم يجمعوه لأمة قط كانت قبلنا » و « أن الروم نفرت إلى المسلمين برّا وبحرًا ، ولم يخلفوا وراءهم رجلا يطيق حمل السلاح إلا جاشوا به علينا » .

ومن المستبعد أن أمة عظيمة كالروم تكون طاقتها الكاملة من الرجال في حدود هذا العدد، فتبين أن القول الراجح أنهم كانوا نحوًا من أربعمائة ألف كما ذكر أبو عبيدة .

ومما يدل على كثافة جيش الروم إلى حد غير معتاد ماذكره الأزدي في رواية لـه عن قسامة بن زهير عن رجل من الروم كان يُدْعَى «جرجه» - وقد أسلم وحسن إسلامه - قال: كنت في ذلك الجيش الذي بعثَنا ملك الروم من أنطاكية مع باهان، فأقبلنا ونحن لايحصي عددنا إلا الله، ولانرى أن لنا غالبا من الناس .

قال: ولحق بنا كل من كان على ديننا من النصارى ، حتى إنْ كان الراهب لينـزل من صومعته، وقد كان فيها دهرًا طويلاً من دهره، فيتركها وينـزل إلينا فيقاتل معنا غضبًا لدينه ومحاماةً عليه ([[19]](#footnote-19)) .

مكان والتقاء الجيشين :

ذكر الإمام ابن جرير الطبري من رواية سيف بن عمر عن عدد من الشيوخ أن هرقل كتب إلى قادة جيشه يقول لهم : انزلوا بالروم منـزلاً واسع العطن، واسع المطرد، ضيق المهرب .

قالوا : ففعلوا فنـزلوا الواقوصة ، وهي على ضفة اليرموك، وصار الوادي خندقًا لهم .

وانتقل المسلمون عن معسكرهم الذي اجتمعوا به، فنـزلوا بحذائهم، على طريقهم ، وليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو بن العاص : أيها الناس أبشروا ، حُصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير ([[20]](#footnote-20)) .

وهذا يدل على خبرته وبصره بأمور الحرب .

وأخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من خبر عبد الله بن قرط قال: لما نزلت الروم منـزلهم الذي نزلوا به دسسنا إليهم رجالا من أهل البلد، كانوا نصارى فأسلموا وحسن إسلامهم، وأمرناهم أن يدخلوا عسكرهم، ويكتموا إسلامهم، ويأتوا بأخبارهم، فكانوا يعملون ذلك .

قال: فمكثوا أيامًا مقابلنا ، ثلاثة أو أربعة ، لايسألوننا عن شيء ولانسألهم عن شيء ، ولايتعرضون لنا ، ولانتعرض لهم ، فبينما نحن كذلك إذ سمعنا صوتًا عاليًا وجلبة شديدة وأصواتًا رفيعة، فظننا أن القوم يريدون النهوض إلينا، فتهيأنا وتيسرنا ، ثم إنا دسسنا عيونًا لنا إليهم ليأتونا بالخبر .

قال : فما لبثنا إلا قليلا حتى رجعوا إلينا فأخبرونا أن بريدًا جاءهم من قبل ملك الروم، فبشرهم بمال يقسم بينهم، وبمدد يأتيهم، ففرحوا بذلك ، ورفعوا له أصواتهم .

فقام فيهم ملكهم باهان ، واجتمعوا إليه، فقال لهم : إن الله لم يزل لدينكم ناصرا ومعزا ومظهرا على كل من ناوأكم، وقد جاءكم قوم يريدون أن يفسدوا عليكم دينكم ويغلبوا على بلادكم ودياركم وأموالكم ، وأنتم عدد الحصا والثرى والذرّ ، والله إن في هذا الوادي منكم لنحوًا من أربعمائة ألف مقاتل مع أتباعكم وأعوانكم، ومن اجتمع إليكم من سكان بلادكم ، وممن هو معكم على دينكم، فلا يهُولنَّكم أمرها ، ولا القوم فإن عددهم قليل، وهم أهل الشقاء والبؤس ، وجُلُّهم حاسر جائع ، وأنتم من الملوك وأبناء الملوك وأهل الحصون والقلاع ، والعدة والقوة ، والسلاح والكراع ، فلا تبرحوا العرصة وفيهم عين تَطْرِف حتى تهلكوهم أو تهلكوا أنتم.

فقام إليه بطارقتهم ، فقالوا : مُرْنا بأمرك، ثم انظر مانصنع .

قال : تيسروا حتى آمركم ([[21]](#footnote-21)) .

مناوشة بين بعض الجيشين :

قال أبو بشير التنوخي في سياق خبره السابق ([[22]](#footnote-22)) : وقد نزلنا بالمسلمين ونحن لهم هائبون ، وقد كان بلغنا ، أن نبيّهم قال لهم: إنكم ستظهرون على الروم، وقد كانوا واقعونا غير مرة، كل ذلك يكون لهم الظفر علينا إلا أنا إذا نظرنا إلى عددنا وجموعنا طابت أنفسنا أنَّ مثل جمعنا ذلك لايُفلّ .

قال: فأقام باهان أيامًا يراسل من حوله من الروم، ويأمرهم أن يحملوا إلى أصحابه الأسواق، وكانوا يفعلون، ولم يكن ذلك يضر المسلمين ، لأن الأردن في أيديهم، فهم مخصبون بخير .

فلما رأى باهان ، صاحب الروم ، أن ذلك لايضرهم ولاينقصهم، وأنهم يكتفون بالأردن بعث خيلا عظيمة ليأتيهم من ورائهم ، عليها بِطريقٌ عظيم من عظمائهم وبطارقتهم، وأراد أن يكفيهم بجنوده من كل جانب، وعلم المسلمون مايريدون .

فدعا أبو عبيدة خالد بن الوليد ، فبعثه في ألفي فارس، فخرج خالد حتى اعترض العلج، فلما استقبله نزل خالد في الرجَّالة، وبعث قيس بن هبيرة في الخيل، فحمل عليهم قيس، فاقتتلوا قتالا شديدًا، وحمل قيس في خيل المسلمين على خيلهم، فهزمها حتى اضطرها إلى الرجالة الذين مع خالد ، ومشى خالد في الرجالة حتى إذا دنا من البطريق شدّ عليه رايته ، وشد معه المسلمون ، فضربوهم بالسيوف حتى تبددوا وانهزموا ، وقُتل منهم مقتلةٌ عظيمة .

وقال قيس لرجل من بني نمير مرَّ به البطريق يركض منهزمًا :ياأخا بني نمير ، لايفوتنَّك البطريق، فإني والله قد كددت فرسي على هذا العدو من هذا اليوم حتى ماعند فرسي من جري .

فحمل عليه النميري ، فركض في إثره ساعة ، ثم إنه أدركه، فلما رأى البطريق أنه قد غشيه وأحرجه عطف عليه البطريق، فاضطربا بسيفيهما، فلم يصنع السيفان شيئًا، واعتنق كل واحد منهما صاحبه ، ووقعا على الأرض، فاعتركا ساعة ، ثم صرعه النميري، ووقع النميري على صدر البطريق ، فضمّه البطريق إليه ، وكان مثل الأسد، فجعل النميري لايستطيع أن يتحرك .

وبصر بهما قيس ، فجاء حتى وقف عليهما فقال: ياأخا بني نمير، قتلتَ الرجل إن شاء الله ؟

قال : لا ، والله ما استطيع أن أتحرك، ولا أضربه بشيء، ولقد ضمني بفخذه وأمسك يدي بيديه .

فنـزل إليه قيس فضربه فقطع إحدى يديه ، ثم تركه وانطلق وقال للنميري : شأنك به ، وقام النميري ، فضربه بسيفه حتى قتله .

ومرّ به خالد بن الوليد ، فقال لـه : ماهذا ياقيس، ومن قتله؟ فقال له قيس : قتله هذا النميري ، ولم يخبره ماصنع هو به ([[23]](#footnote-23)) .

تنظيم جيش المسلمين :

أخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من خبر الحارث بن عبد الله الأزدي ، ثم النمري ·قال : لما نزل أبو عبيدة بن الجراح اليرموك وضم إليه قواصيه، وجاءتنا جموع الروم وهم يجرون الشوك والشجر، ومعهم صُلبُهم ومعهم القسيسون والرهبان والأساقفة والبطارقة، ورهبانهم يقصّون عليهم، وبطارقتهم يحرضونهم فجاءوا حتى نزلوا دير الجبل، فلما أقبلوا إلى المسلمين بتلك الجموع خافهم المسلمون فما كان شيء أحب إليهم من أن يخرجوا لهم ، ويتنحَّوا عن بلادهم حتى يأتيهم مدد يرون أنهم يقوون به على من جاءهم من الروم .

قال: فدعا أبو عبيدة الناس، فاستشارهم ، فكل من استشار من الناس أشار عليه بالخروج من الشام إلا خالد بن الوليد، فإنه أشار عليه بالمقام، وقال لأبي عبيدة : خلّني والناس ودعني والأمر، وولني ماوراء بابك فأنا أكفك بإذن الله أمر هذا العدو .

فقال له أبو عبيدة : شأنك بالناس، فخلاه وإياهم .

قال: وكان قيس بن هبيرة المرادي على مثل رأي خالد بن الوليد في المقام بأرض الشام ، ولم يكن في المسلمين أحد يعدلهما في الحرب وشدة البأس .

قال : فخرج خالد بالناس وهم بأحسن شيء رِعَةً ، ودَعَةً وهيئة، وأشدهم في لقاء عدوهم بصيرة ، وأطيبهم أنفسا بقتالهم .

قال: فصفهم خالد ثلاثة صفوف، وجعل ميمنة وميسرة، ثم إن خالدًا أتى أبا عبيدة فقال: من كنت تجعل على ميمنتك؟ قال: معاذ بن جبل .

قال: أهلُ ذلك هو الرضا والثقة · فولّها إياه، فأمر أبو عبيدة معاذًا ، فوقف في الميمنة .

ثم قال خالد : من كنت تولِّي الميسرة ؟ قال: غير واحد .

قال : فولّها قباث بن أشيم إن رأيت، فأمره أبو عبيدة ، فوقف في الميسرة ، وكان فيها كنانة وقيس ، وكان قباث كنانيا، وكان شجاعًا بئيسا ([[24]](#footnote-24)) .

وقال خالد : وأنا على الخيل، وولِّ على الرجَّالة من شئت .

قال: أوليها إن شاء الله من لايُخاف نكوله ولاصدوره عند البأس، أوليها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، قال: وُفِّقت ورشدت .

قال أبو عبيدة : انزل ياهاشم فأنت على الرجالة وأنا معك .

وقال خالد لأبي عبيدة : ابعث إلى أهل كل راية فمرهم أن يطيعوني .

فدعا أبو عبيدة الضحاك بن قيس فأمره بذلك، فخرج الضحاك يسير في الناس، ويقول لهم: إن أميركم أبا عبيدة يأمركم بطاعة خالد بن الوليد فيما أمركم به .

فقال الناس : سمعنا وأطعنا ، ومر الضحاك بمعاذ بن جبل، فأمره بطاعة خالد بن الوليد ، فقال معاذ: سمعنا وأطعنا، ثم نظر إلى الناس فقال: أما والله إن أطعتموه لتطيعنّ مبارك الأمر ، ميمون النقيبة، عظيم الغناء ، حسن الحسبة والنية .

قال الضحاك : فحدثت خالدا بمقالة معاذ بن جبل ، وقلت لـه: لقد سمعت معاذًا يحسن عليك الثناء، وقال فيك كيت وكيت .

فقال لي : رحم الله أخي معاذًا ، أما والله إن أحبني إني لأحبه في الله ، لقد سبقَتْ لـه ولأصحابه سوابق لاندركها ولانبلغها ولاننالها ، فهنيئًا لهم بما خصهم الله به من ذلك .

قال الضحاك : فلقيت معاذًا فأخبرته بماقلت لخالد وماردّ به عليّ خالد .

فقال معاذ : أما إني لأرجو أن يكون الله قد أعطاه على جهاد المشركين ، وشدته عليهم، وجهاده إياهم مع بصيرته وحسن نيته، وإعزاز دينه أحسن الثواب ، وأن يكون من أفضلنا بذلك عملا .

فلقيت خالدًا بذلك ، فقال : ماشيء على الله بعزيز .

قال: ثم إن خالدًا سار في الصفوف يقف على أهل كل راية ويقول : ياأهل الإسلام ، إن الصبر عِزٌّ وإن الفشل عجز ، وإن مع الصبر تنصرون فإن الصابرين هم الأعلون ، وإنه إلى الفشل مايحور المبطل الضعيف ، وأن المُحِقّ لايفشل، يعلم أن الله معه، وأنه عن حُرَم الله يَذُبّ وعنه يقاتل، وأنه إنْ قدم على الله أكرم منـزلته وشكر سعيه ، إنه شاكر يحب الشاكرين .

قال: فما زال يقف على كل راية يعظهم ويحضهم ويرغِّبهم حتى مر بجماعة الناس،ثم إنه جمع إليه خيل المسلمين،ودعا قيس بن هبيرة بن مكشوح المراديّ وكان يساعده ويوافقه ويشبهه في جلده وشدته ، وشجاعته وإقدامه على المشركين، فقال لـه خالد: أنت فارس العرب، وقلّ من حضرها اليوم يَعْدِلك عندي، فاخرج معي في هذه الخيل .

وبعث إلى ميسرة بن مسروق العبسي، وكان من أشراف العرب وفرسانهم ودعا عمرو بن الطفيل بن عمرو ذي النور الأزدي ثم الدَّوْسي فخرج معه .

ثم قسموا الخيل أرباعًا ، فبعث كل رجل منهم على ربع، وخرج خالد في ربع منها في خيل المسلمين حتى دنا من عسكر الروم الأعظم الذي فيه باهان .

فلما رأتهم الروم فزعوا لمجيئهم إليهم ، وقد كانوا أُتُوا ، فأُخبروا أن العرب يريدون الانصراف عن أرض الشام، وأن يخلوكم وإياها، فكان ذلك قد وقع على أنفسهم ، وطمعوا به ، ورجوا ألا يكون بينهم قتال، وصدّق ذلك عندهم خروجهم من بين أيديهم يسوقونهم وهم يدَعون لهم الأرض والمدائن التي كانوا قد غلبوا عليها فيما بينهم وبين اليرموك ودمشق وحمص وماحولها .

فلما رأوا خالدا قد أقبل عليهم في الخيل أفزعهم ذلك، وخرجوا على راياتهم ، وخرجوا بصلُبهم والقسيسين والرهبان والبطارقة، فصفوا عشرين صفًا ، لايُرى طرفاها ([[25]](#footnote-25)) .

هذا وقد ذكر الإمام ابن جرير الطبري فيما يرويه عن سيف بن عمر عن شيوخه أن الروم خرجوا في تعبية لم ير الراؤون مثلها قط، وخرج خالد في تعبية لم تُعَبِّها العرب قبل ذلك ، فخرج في ستة وثلاثين كردوسا إلى الأربعين .

وجاء في هذه الرواية أن خالدًا قال: إن عدوكم قد كثر وطغى، وليس من التعبية تعبية أكثر في رأي العين من الكراديس ([[26]](#footnote-26)) .

وهكذا حاول خالد أن يخفف من الفرق الهائل بين الجيشين في نظر العين، ويُعدُّ هذا التنظيم من عبقرياته في التخطيط الحربي .

مبارزة ومناوشات :

ثم أخرجوا إلى المسلمين خيلا عظيمة أضعاف خيل المسلمين ، فلما دنت من خيل المسلمين خرج بطريقٌ من بطارقتهم وشجعانهم يسأل المبارزة ويتعرض لخيل المسلمين .

فقال خالد : أما لهذا رجل يخرج إليه ؟ لَيخرجنَّ إليه بعضكم أو لأخرجن إليه، فتفلّت إليه عدة من المسلمين ليخرجوا إليه، فأراد ميسرة بن مسروق أن يخرج إليه فقال له خالد : أنت شيخ كبير، وهذا الرومي شاب، ولا أحب أن تخرج إليه، فإنه لايكاد الشيخ الكبير يقوى على الشاب الحديث السنّ، فقف لنا رحمك الله، في كتيبتك ، فإنك ماعلمت حسن البلاء عظيم الغناء .

وأراد عمرو بن الطفيل أن يخرج إليه،فقال له خالد: ياابن أخي،أنت غلام حديث السن، وأخاف ألا تقوى عليه.

قال الحارث بن عبد الله الأزدي : وكنت في خيل خالد التي خرجت معه، فقلت ، فأنا أخرج إليه، فقال :ماشئت، فلما ذهبت لأخرج إليه قال لي خالد : هل بارزت رجلا قط قبله؟ قلت : لا، قال: فلا تخرج إليه .

قال قيس بن هبيرة · ياخالد ، كأنك عليَّ تُحوِّط ؟

قال له :أجل، فإني أرجو إن خرجت إليه أن تقتله، فإن أنت لم تخرج إليه لأخرجن إليه أنا.

فقال قيس : بل أنا أخرج إليه، فخرج إليه قيس وهو يقول :

سَائلْ نسَاء الحَيِّ في حِجَالهِا([[27]](#footnote-27)) ألَسْتُ يَوْمَ الْحرْب مِنْ أبْطَالهِا

مُقَعِّص الأقْرَانِ مِنْ رِجَالِهاَ

فخرج إليه ، فلما دنا منه ضرب فرسه، ثم حمل عليه قيس، فما هلهل([[28]](#footnote-28)) أن ضربه بالسيف على هامته، فقطع ماعليه من السلاح، وفلق هامته فإذا الرومي بين يدي فرسه قتيلا ، وكبَّر المسلمون .

فقال خالد : مابعد ماترون إلا الفتح ، احمل عليهم ياقيس .

ثم أقبل خالد على أصحابه، فقال: احملوا عليهم، فو الله لا يفلحون، وأولهم فارس متعفر في التراب .

قال: فحملنا عليهم وعلى من يلينا منهم، ومن خيلهم وهي مستقدمة أمام صفوفهم كأنها أعراض الجبال .

قال قيس : فحملنا عليهم ، فكشفنا خيلهم حتى لحقت بالصفوف، وحمل عليهم خالد وأصحابه على من يليهم ، فكشفوهم حتى ألحقوهم بالصفوف .

وحمل عمرو بن الطفيل الأزدي وميسرة بن مسروق العبسي في أصحابهما حتى ألحقوهم بالصفوف، صفوف المشركين .

ثم إن خالدًا أمر خيله، فانصرفت عنهم، ثم أقبل بها حتى لحق بجماعة المسلمين ، وقد أراهم الله السرور في المشركين، وتلاومت بطارقة الروم ، وقال بعضهم لبعض : جاءتكم خيل لعدوّكم ليست بالكثيرة ، فكشفت خيولكم من كل جانب .

فأقبلت منهم كتائب في إثر كتائب ، فطبقوا الأرض مثل الليل والسيل، كأنها الجراد السود، وظن المسلمون أنهم سيخالطونهم، والمسلمون جُرَءاءُ عليهم، سراع إليهم، فأقبلوا حتى إذا دنوا من جماعة المسلمين واقتربوا منهم ومن خيلهم وقفوا ساعة وقد هابوهم ، وامتلأت صدورهم من المسلمين خوفًا .

فقال خالد للمسلمين : قد رجعنا عنهم، ولنا الظفر عليهم وعليهم الدّبرة، فاثبتوا لهم ساعة، فإن أقدموا علينا قاتلناهم، وإن رجعوا عنا كان لنا الظفر والفضل عليهم .

فأخذوا يقربون من المسلمين ثم يرجعون، والمسلمون في مصافِّهم وتحت راياتهم سكوت، لايتكلم رجل منهم كلمة إلا أن يدعو الله في نفسه، ويستنصره على عدوه ([[29]](#footnote-29)) .

عدول الروم إلى المفاوضات :

فلما نظرت الروم إلى حالهم تلك ، وإلى خيل المسلمين ورجّالتهم ومصافّهم، وَحدِّهم وجدِّهم ، وصبرهم وسكوتهم ألقى الله الرعب في قلوبهم،فواقفوهم ساعة،ثم انصرفوا راجعين عنهم إلى عسكرهم.

قال: فاجتمعت بطارقتهم وأمراؤهم وعظماؤهم وفرسانهم إلى باهان ، وهو أمير جماعتهم ، فقال لهم باهان :

إني قد رأيت رأيًا، وأنا ذاكره لكم ، إن هؤلاء القوم قد نزلوا بلادكم،وركبوا مراكبكم، وطعموا من طعامكم ولبسوا من لباسكم، فعَدْل الموت عندهم أن يفارقوا ماقد تطعموه من عيشكم الرفيع، ودنياكم التي لم يروا مثلها قط، وقد رأيت إن رأيتم ذلك أن أسألهم أن يبعثوا إلينا رجلا منهم له عقل، فنناطقه ونشافهه، ونطمعهم في شيء يرجعون به إلى أهليهم، لعل ذلك يُسخي بأنفسهم عن بلادنا، فإن هم فعلوا ذلك كان الذي يريدون منا قليلا فيما نخاف،وندفع به خطر الوقعة التي لاتدرون تكون علينا أم لنا.

فقالوا له:قد أصبت ، وأحسنت النظر لجماعتنا ، فاعمل برأيك.

وإن في هذا الكلام الذي صدر من أكبر وأعقل قوادهم لدليلا على أنهم لم يفهموا هدف المسلمين الأسمى من غزو بلادهم، فهم ينسبون ذلك إلى طمع المسلمين فيما في بلادهم من الخيرات ومايعيش به المسلمون في بلادهم من شظف العيش وقلة الموارد، ولذلك فإنهم لايزالوان يطمعون في قبول المسلمين لما يعرضونه عليهم من الصلح على أموال يدفعونها لهم .

وقد سبق أن عرضوا ذلك على المسلمين بإلحاح في معركة فحل وكان السفير إليهم معاذ بن جبل ورد عليهم بكلام لامحيد عنه، ثم أجابهم أبوعبيدة بجواب معاذ نفسه، ولكنهم في هذه المرة قد اغتروا بجموعهم العظيمة ، وبكون المسلمين تراجعوا إلى جنوب الشام، فحاولوا إعادة عروضهم السابقة .

وهكذا نجد الكفار في كل زمن لايفقه كثير منهم هدف المسلمين الواحد الذي لايتغير منذ بعث الله تعالى نبيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ولذلك نجدهم يتورطون كثيرًا في حروبهم مع المسلمين الصادقين ولكنهم ينسون هذا الهدف السامي أحيانًا لكثرة من يواجهون من المسلمين غير الصادقين على مدار التاريخ الذين يقعون فريسة لفتنة الترغيب أو الترهيب من قِبَل الأعداء .

ولقد ضرب الصحابة أروع الأمثال في صلابة الموقف أمام جميع الأعداء ، والامتناع التام من الخضوع لمطالبهم والاستجابة لتهديدهم أو إغرائهم، وكان جوابهم في كل موقف تعرضوا له جوابًا واحدًا لايتغير ، مما يدل على عمق التربية الدينية التي رباهم عليها الرسول .

هذا ولما عرض باهان على قادة جيشه هذا الرأي « قالوا: قد أصبت وأحسنت النظر لجماعتنا فاعمل برأيك، فبعث رجلا من خيارهم وعظمائهم اسمه « جرجه » حتى أتى أبا عبيدة فقال لـه : إني رسول «باهان» عامل ملك الروم على الشام وعلى هذه الجنود وهو يقول لك : أرسل إليَّ الرجل منكم الذي كان قبلك أميرًا فإنه قد ذُكر لي أن ذلك الرجل له عقل وله فيكم حسب ، وقد سمعنا أن عقول ذوي الأحساب أفضل من عقول غيرهم، فنخبره بما نريد، ونسأله عما تريدون ، فإن وقع فيما بيننا وبينكم أمر لنا ولكم فيه صلاح أو رضًى أخذنا به وحمدنا الله عليه، وإن لم يتفق ذلك فيما بيننا وبينكم كان القتال من وراء ماهناك » .

وهكذا نص قائدهم على أمير المسلمين السابق خالد بن الوليد، ولعله نص عليه لكونه أصلب المسلمين موقفًا في قتال الروم ، فلو استطاع إقناعه بالصلح والانسحاب لرجا بذلك أن يحوز على قناعة المسلمين، وهو ينطلق في ذلك أيضًا من المفاهيم البشرية التي تسود عموم البشر في كل الأزمان إذا تخلَّوا عن شريعة الله، من أن الرجل القوي القيادي في الجيش يغيِّر من آراء أفراد الجيش غالبًا، ولا يعلم هؤلاء أنه مهما بلغ القائد عند المسلمين من القوة ونباهة الذكر فإن تأثيره على الجيش لايعدو الأمور الاجتهادية التي ليس فيها نص ملزم من شريعة الإسلام .

وهكذا فكر باهان في عرض الصلح على المسلمين مع أن معه جيشًا يبلغ عشرة أضعافهم ، وهذا دليل واضح على أن الروم قد أصيبوا بالرعب من المسلمين على الرغم من تفوقهم الكبير في الجيش والإعداد العسكري .

إن المنتظر في مثل هذه الحال أن يكون لدى الروم إقدام شديد وحماس قوي نحو الحرب حتى يقضوا على عدوهم الذي أرعبهم وأزال دولتهم من الشام ، مادامت الفرصة قد واتتهم وجمعوا ذلك الجمع الكبير الذي يصعب جمعه مرة أخرى .

ومن المنتظر عادة أن الذي يطلب الصلح هو الضعيف القليل العدد الذي يخشى على نفسه من الإبادة وسط جيش عظيم .

ولكن الذي حدث خلاف ذلك تمامًا، لقد كان المسلمون في منتهى الإقدام والحماس، وكان الروم في منتهى الرعب والخوف، وماذاك إلا من أثر سلاح الرعب الذي ينصر الله تعالى به أولياءه المؤمنين .

قال : وجاء رسولهم هذا الرومي عند غروب الشمس ، فلم يمكث إلا يسيرًا حتى حضرت الصلاة ، فقام المسلمون يصلون صلاتهم، فلما قضوا صلاتهم قال خالد للرومي:

- هذا الليل قد غشينا ، ولكن إذا أصبحتُ غدوتُ إلى صاحبك، إن شاء الله ، فارجع إليه ، فأعلمه ذلك .

وجعل المسلمون ينتظرون الرومي أن يقوم إلى صاحبه، فيرجع إليه، فيخبره بما ردّوا عليه ، وأخذ الرومي لايبرح، وجعل ينظر إلى رجال من المسلمين يصلون ، وهم يدعون الله ، ويتضرعون إليه .

فقال عمرو بن العاص : إن رسولكم هذا الذي أُرسل إليكم لمجنون .

فقال أبو عبيدة : كلا ، أو ماتفطن إلى نظره إلى المسلمين ؟

وجعل الرومي مايُفيق ولايَطرفُ بصره عنهم .

فقال أبو عبيدة : والله إني لأرجو أن يكون الله قد قذف في قلبه الإيمان وحبّبه إليه، وعرّفه فضله .

فلبث الرومي بذلك قليلا ، ثم أقبل على أبي عبيدة ، فقال: أيها الرجل ، متى دخلتم في هذا الدين ؟ ومتى دعوتم إليه الناس ؟

قال أبو عبيدة : دُعينا إليه منذ بضع وعشرين سنة، فمنا من أسلم حين أتاه الرسول ، ومنا من أسلم بعد ذلك .

فقال: هل كان رسولكم أخبركم أنه يأتي من بعده رسول ؟

فقال:لا ، ولكنه أخبرنا أنه لانبي بعده، وأخبرنا أن عيسى بن مريم قد بشر به قومه.

قال الرومي : أنا على ذلك من الشاهدين. أن عيسى بن مريم قد بشرنا براكب الجمل ، وما أظنه إلا صاحبكم .

وقال الرومي : أخبروني عن قول صاحبكم في عيسى بن مريم ماكان ،وما قولكم أنتم فيه ؟

قال أبو عبيدة : قول صاحبنا قول الله ، وهو أصدق القول وأبره قال الله في عيسى بن مريم : ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ [آل عمران :59] وقال الله : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭼ إلى آخر الآية ، وإلى قوله : ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭼ [النساء : 172] فلما فسّر لـه الترجمان هذا بالرومية ، وبلغ هذا المكان قال: أشهد أن هذه صفة عيسى نفسه، وأشهد أن نبيكم صادق، وأنه الذي بشرنا به عيسى ، وأنكم قوم صدق .

وقال لأبي عبيدة : ادع لي رجلين من أول أصحابك إسلاما، وهما فيما ترى أفضل من معك .

فدعا أبو عبيدة معاذ بن جبل وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيْل، فقال: هذان من أفضل المسلمين فضلا، ومن أول المسلمين إسلاما .

فقال لهما الرومي ولأبي عبيدة: أتضمنون لي الجنة إن أنا أسلمت وجاهدت معكم؟

فقالوا له : نعم ، إن أنت أسلمت ولم تغير حتى تموت وأنت على ذلك فإنك من أهل الجنة .

قال: فإني أُشهدكم أني من المسلمين .

فأسلم، وفرح المسلمون بإسلامه ، وصافحوه ودعوا له بخير، وقالوا له : إنا إن أرسلنا رسولنا غدا إلى صاحبكم وأنت عندنا ظنوا أنا حبسناك عنهم ، فنتخوّف أن يحبسوا صاحبنا،فإن شئت أن تأتيهم الليلة ، وتكتم إسلامك حتى نبعث رسولنا إليهم غدا، وينصرف .وننظر على ما ينصرم الأمر فيما بيننا وبينهم، فإذا رجع رسولنا إلينا أتيتنا عند ذلك ، فما أعزّك علينا، وأرغبنا فيك، وأكرمك علينا، وما أنت عند كل امريء منا إلا بمنـزلة أخيه لأمه وأبيه .

قال: فإنكم نِعمَ مارأيتم ، فخرج ، فبات في أصحابه، وأتى باهان فقال له:غدا يجيئكم رسول القوم الذي سألتم.

فلما أصبح الرومي ، وانصرف خالد راجعًا إلى أصحابه من قِبَل باهان أقبل الرومي حتى لحق بالمسلمين، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له نجدة ونكاية في المشركين رحمه الله .

قال : فدعا أبو عبيدة خالدًا فأخبره الذي جاء فيه جرجه وقال لخالد : الْقَهُمْ فادعهم إلى الإسلام ، فإن قبلوا فهو حظهم، وكانوا قومًا لهم مالنا وعليهم ماعلينا ، وإن أبوا فاعرض عليهم الجزية بأن يؤدوها عن يد وهم صاغرون ، فإن أبوا فأعلمهم أننا نناجزهم ونستعين الله عليهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم وهو خير الحاكمين .

هكذا بهذا الحكم الثابت أوصى أبو عبيدة خالدًا ، ولو علم الروم باعتصام المسلمين بهذا الحكم لأراحوا أنفسهم من عناء التفكير في محاولة إقناع المسلمين بقبول رأيهم في الصلح .

حوار خالد مع الروم :

هذا ولما عزم خالد على المسير لمقابلة قائد الروم أمر بخيمة له من الجلد فضُرِبَتْ له في معسكر الروم، وخرج خالد فأقام بها بعض الوقت، ثم بعث باهان إلى خالد يدعوه إلى لقائه، وقد صف في طريقه عشرة صفوف عن يمينه ومثلها عن شماله مقنَّعين بالحديد لايُرى منهم إلا عيونهم، محمَّلين بأنواع الأسلحة، وصفَّ من وراء تلك الصفوف خيلا عظيمة لايُرى طرفاها ، وإنما أراد باهان بذلك أن يُرِيَ خالدًا حدة الروم وعددهم ليرعبه بذلك ،وليكون ذلك أسرع إلى مايريد أن يعرض عليه من الصلح والمهادنة، فأقبل خالد غير مكترث بما رأى من هيئتهم وجماعتهم ، وكأنها أهون عليه من الكلاب .

وهكذا بدأ باهان مع خالد بفتنة الإرهاب والتخويف، ولكن خالدا لم يتأثر بشيء مما رأى من كثرتهم وتنوع أسلحتهم، لأنه يعدُّ القوة المادية في المقام الثاني، ويعدُّ القوة المعنوية في المقام الأول، وهو يعلم يقينًا أن الكفار جميعًا لايصلون إلى مستوى المسلمين في هذا المجال حتى ولو كانوا عشرة أضعاف المسلمين .

فلما دنا من باهان رحب به، ثم قال بلسانه : هاهنا عندي اجلس معي فإنك من ذوي أحساب العرب فيما ذكر لي ، ومن شجعانهم، ونحن نحب الشجاع ذا الحسب، وقد ذُكر لي أن لك عقلا ووفاء، والعاقل ينفعك كلامه وذو الوفاء يصدق قوله ويوثق بعهده .

وأَجلس فيما بينه وبين خالد ترجمانًا، فهو يفسر لخالد مايقول، وخالد جالس إلى جانبه .

ثم قال باهان لخالد : أخبرني عنك وأنت هكذا، أتحتاج إلى مشورة هذا الرجل معك ؟([[30]](#footnote-30))

فقال له خالد: وقد تعجب من ذلك، إن في عسكرنا هذا لأكثر من ألفي رجل، كلهم لايُستغنى عن رأيه وعن مشورته .

فقال له باهان : ما كنا نظن ذلك عندكم ولانراكم به .

قال خالد: ماكل ماتظنون ونظن يكون صوابا.قال باهان: صدقت .

ثم قال باهان : إن أول ما أكلمك به أن أدعوك إلى خُلَّتي ومصافاتي .

وهذا من الأمور الغريبة أن يدعو قائد الروم قائد المسلمين إلى الخلة والمصافاة وقد تقابلا في الميدان، والروم في اعتقادهم أن المسلمين معتدون عليهم، فالوضع الطبيعي أن تحصل إرادة النقمة والإعدام بدلاً من إرادة الخلة والمصافاة ، ولكن إذا علمنا أن ذلك نوع من النفاق السياسي الذي يتعامل به الأعداء مع المسلمين وغيرهم ويعدُّونه من الحنكة السياسية والبراعة في احتواء الخصوم.. إذا علمنا ذلك فـإن الغرابة تزول لأن هذا خلق من أخـلاق الكفار التي لايرون فيها جرحًا لمكارم الأخلاق، أما المسلمون فإنهم بمقتضى توجيهات دينهم يَعدُّون ذلك من مساوئ الأخلاق التي لايتصف بها إلا المنافقون ، ولذلك أجاب خالد قائد الروم بقولـه : فكيف لي ولك أن يتم هذا فيما بيني وبينك وقد جمعتني وإياك بلدة لاأريد أنا ولاتريد أنت أن نفترق حتى تصير البلدة لأحدنا؟

فقال باهان : فلعل الله يصلح بيننا وبينكم ولا يهراق دم ولايقتل قتيل .

فقال خالد : إن شاء الله فعل .

انتقل باهان بعد ذلك إلى لون آخر من محاولة احتواء خالد حيث قال له: فإني أريد أن أُلقي الحشمة فيما بيني وبينك وأكلمك كلام الأخ لأخيه وإن قبتك هذه الحمراء قد أعجبتني ، وأنا أحب أن تهبها لي، فإني لم أَرَ قبة من القباب أحسن منها وأفضل، فخذ مابدا لك فيها وسلني ما أحببت فهو في يديك وهب لي هذه القبة فهي أطرف مما عندنا .

وهكذا رأينا باهان يساوم خالدًا في خيمته الجلدية ويبدي استعداده لدفع مايريد خالد من أموال، وهو الذي يملك أفخر القباب، وأنعم الأثاث، فهل كان فعلاً يريد شراء هذه الخيمة أم كان يريد شراء خالد بالإغراء المادي ؟!

إن هذا الأخير هو المتبادر إلى الذهن في معاملة تدور بين قائدين من أعظم قادة العالم آنذاك .

فماذا كان جواب خالد لـه ؟ لقد قال لـه : هي لك فخذها ولست أريد من متاعك شيئًا .

لقد فوَّت خالد عليه مراده من هذه المساومة ، وعلم باهان أنه لا جدوى من محاولاته التي يقوم بها لاحتواء خالد، فتحول إلى عرض المفاوضة التي يريدها فقال لخالد: إن شئت بدأناك بالكلام وإن شئت أنت فتكلم .

فقال خالد : ما أبالي أي ذلك كان، أما أنا فلا إخالك إلا وقد علمت وبلغك ما أسأل وما أطلب وماأدعو إليه ، وقد جاءك بذلك أصحابك ومن لقينا منكم بأجنادين ومرج الصُّفَّر وفحل ومدائنكِم وحصونكم، وأما أنت فلستُ أدري ماتريد أن تقول ، فإن شئت فتكلم، وإن شئتَ بدأتك فتكلمت .

وهكذا أشعره خالد بأنه لاجديد لديه، وإنما مطلبه الآن هو العرض السابق نفسه الذي يقدمه المسلمون في كل لقاء بينهم وبين أعدائهم، فهو مطلب واحد لاتنازل فيه ولاتحوُّل عنه .

فقال باهان: الحمد لله الذي جعل نبينا أفضل الأنبياء، وملكنا أفضل الملوك ، وأمتناَ خيرَ الأمم .

فلما بلغ هذا المكان قال خالد للترجمان ، وقطع على صاحب الروم منطقه، ثم قال: والحمد لله الذي جعلنا نؤمن بنبينا ونبيكم وجميع الأنبياء ، وجعل الأمير الذي ولّيناه أمورنا رجلا كبعضنا، فلو زعم أنه ملك علينا لعزلناه عنا ، ولسنا نرى أن له على رجل من المسلمين فضلا، إلا أن يكون أتقى منه عند الله وأبر، والحمد لله الذي جعل أمتنا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتقر بالذنب وتستغفر الله منه، وتعبد الله وحده، لاتشرك به شيئًا، قل الآن مابدا لك .

فاصفرّ وجه باهان، ومكث قليلا، ثم قال باهان: الحمد لله الذي أبلانا فأحسن البلاء عندنا، وأغنانا من الفقر، ونصرنا على الأمم وأعزّنا فلا نذلّ، ومنعنا من الضيم، فلا يباح حريمنا، ولسنا فيما أعزنا الله به وأعطانا من ديننا بِبَطِرين ولامرحين ولاباغين على الناس، وقد كانت لنا منكم يامعشر العرب جيران كنا نحسن جوارهم، ونعظم قدرهم، ونَفْضُل عليهم، ونفي لهم بالعهد، وخيّرناهم بلادنا،ينـزلون منها حيث شاؤوا، فينـزلون آمنين، ويرحلون آمنين، وكنا نرى أن جميع العرب ممن لايجاورنا سيشكر لنا ذلك الذي أتينا إلى إخوانهم، وما اصطنعنا عندهم، فلم يَرُعْنا منكم إلا وقد فاجأتمونا بالخيل والرجال، تقاتلوننا على حصوننا، وتريدون أن تغلبونا على بلادنا، وقد طلب هذا منَّا قبلكم من كان أكثر منكم عددًا، وأعظم مكيدة، وأوفى جندًا، ثم رددناهم عنها، فلم يرجعوا عنا إلا وهم بين قتيل وأسير .

وأراد منا ذلك فارس ، فقد بلغكم كيف صنع الله عز وجل بهم، وأراد ذلك منا الترك فلقيناهم بأشد مما لقينا به فارس، وأرادنا غيركم من أهل المشرق والمغرب من ذوي المنعة والعز والجنود العظيمة، فكلهم أظفرَنا الله بهم، وصنع لنا عليهم، ولم تكن أمة من الأمم بأرقَّ عندنا منكم شأنا، ولا أصغر أخطارًا، إنما جُلُّكم رعاء الشاء والإبل، وأهل الصخر والحجر والبؤس والشقاء، فأنتم تطمعون أن نُجلِّي لكم عن بلادنا، بئس ماطمعتم فيه منها، وقد ظننا أنه لم يأت بكم إلى بلادنا -ونحن يتَّقي كلُّ من حولنا من الأمم العظيمة الشأن الكثيرة العدد كثرتنا وشدة شوكتنا - إلا جهد نزل بكم من جدوبة الأرض وقحط المطر، فعثيتم في بلادنا، وأفسدتم كل الفساد، وقد ركبتم مراكبنا، وليست كمراكبكم ، ولبستم ثيابنا، وليست كثيابكم، وثياب الروم كأنها صفائح الفضة، وطعمتم من طعامنا وليس كطعامكم، وأصبتم منا، وملأتم أيديكم من الذهب الأحمر والفضة البيضاء ، والمتاع الفاخر ، ولقد لقيناكم الآن وذلك كله لنا ، وهو في أيديكم ، فنحن نسلمه لكم، واخرجوا به، وانصرفوا عن بلادنا .

فإن أبت أنفسكم إلا أن تحرصوا وتشرهوا ، وأردتم أن نزيدكم من بيوت أموالنا مايقْوَى به الضعيف منكم، ويرى الغائب أن قد رجع إلى أهله بخير، فعلنا، ونأمر للأمير منكم بعشرة آلاف دينار، ونأمر لك بمثلها ، ونأمر لرؤسائكم بألف دينار ، ونأمر لجميع أصحابك بمائة دينار على أن توثقوا لنا بالأيمان المغلظة ألا تعودوا إلى بلادنا ، ثم سكت.

وهنا وصل باهان إلى تفصيل مايريد عرضه من أمر الصلح في مقابل أن تدفع دولة الروم للمسلمين مبالغ ضخمة من الدنانير تصل إلى الملايين، على الرغم من أن خالدًا جابهه بما يُقَنِّطه ويدفعه إلى اليأس من احتوائه وموافقته على مايريد، وعلى الرغم من القوات الهائلة التي يقودها ، ولكن لعله مأمور بأن ينفذ هذه الخطة فلابد من عرضها وإن فقدت جدواها .

وبهذا نجد الفرق واضحًا بين تصرف قادة المسلمين وقادة الكفار، فكلهم يسيرون وفق مخطط مرسوم، ويطيعون قادتهم الكبار، ولكن قادة المسلمين لاينفذون الأوامر باعتبارها أوامر بشرية فحسب، بل باعتبارها أوامر إلهية ، ومن ضمن هذه الأوامر طاعة المسؤولين الكبار في حدود طاعة الله تعالى ، ثم إنهم يأخذون حريتهم الكاملة في الأمور الاجتهادية التي هي دون الأمور الثوابت ، والتي تتطلبها المواقف المتغيرة ، ولذلك فإن أحكامهم في اتخاذ المواقف لاتتسم بالحيرة والشذوذ بل تنسجم مع متطلب العقل السليم، بخلاف مواقف قادة الكفار التي يغلب عليها الاضطراب والحيرة ، وينفر من قبولها العقل السليم .

فقال خالد : الحمد لله الذي لا إله إلا هو .

فلما فسّر لـه الترجمان قوله: الحمد لله الذي لا إله إلا هو رفع يده إلى السماء ثم قال لخالد : نعم ماقلت .

ثم قال خالد . وأشهد أن محمدًا رسول الله ، .

فلما فسّر لـه الترجمان قال باهان : الله أعلم، ماأدري لعله كما تقول، فأخبر الترجمان خالدا .

ثم قال خالد : أما بعد فإن كل ماذكرت به قومك من الغنى والعز،ومنع الحريم ، والظهور على الأعداء، والتمكن في البلاد فنحن به عارفون ، وكل ماذكرت من إنعامكم على جيرانكم منا فقد عرفناه، وذلك لأمر كنتم تصلحون به دنياكم، وإصلاحكم وإحسانكم إليهم كان ذلك زيادة في ملككم وعزَّا لكم ، ألا ترون أن ثلثيهم أو شطرهم دخلوا معكم في دينكم فهم يقاتلوننا معكم ؟

وأما ماذكرتنا به من رعي الإبل والغنم فماأقل من رأيت واحدًا منا يكرهه ، وما لمن يكرهه منا فضل على من يفعله، وأما قولكم إنا أهل الصخر والحجر والبؤس والشقاء فحالنا والله كما وصفت، ما ننتفي من ذلك ولانتبرأ منه، وكنا على أسوأ وأشد مما ذكرت، وسأقص عليك قصتنا ، وأعرض عليك أمرنا، وأدعوك إلى حظك إن قبلت .

أَلا إنا كنا ، معشر العرب، أمةً من هذه الأمم أنزلنا الله – لـه الحمد- منـزلا من الأرض، ليست به أنهار جارية، ولايكون به من الزرع إلا القليل، وكل أرضنا المَهَامِه والقفار ، فكنا أهل حجر ومدر، وشاء وبعير ، وعيش شديد، وبلاء دائم لازم، نقطع أرحامنا، ونقتل خشية الإملاق أولادنا، ويأكل قوينا ضعيفنا، وكثيرنا قليلنا، ولاتأمن قبيلة منا قبيلة إلا أربعة أشهر من السنة، نعبد من دون الله أربابا وأصناما ننحتها بأيدينا من الحجارة التي نختارها على أعيننا، وهي لاتضر ولاتنفع، ونحن عليها مكبُّون .

فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار، من مات منا مات مشركا، وصار إلى النار، ومن بقي منا بقي كافرًا مشركا بربّه، قاطعًا لرحمه إذ بعث الله فينا رسولا من صميمنا وشرفائنا وخيارنا وكرمائنا وأفضلنا ،دعانا إلى الله وحده أن نعبده ولانشرك به شيئًا ، وأن نخلع الأنداد التي يعبدها المشركون دونه، وقال لنا :لاتتخذوا من دون الله ربِّكم إلها، ولاوليا ولانصيرا، ولاتجعلوا معه صاحبة ولا ولدا، ولاتعبدوا من دونه نارًا ولاحجرًا، ولاشمسًا ولاقمرًا، واكتفوا به ربًّا وإلهًا من كل شيء دونه ، وكونوا أولياءه، وإليه فادعوا وإليه فارغبوا .

وقال لنا : قاتلوا من اتخذ مع الله آلهة أُخرى، وكل من زعم أن لله ولدًا، وأنه ثاني اثنين ، أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا :لاإله إلا الله، وحده لاشريك له، ويدخلوا في الإسلام، فإن فعلوا حرمت عليكم دماؤهم وأموالهم وأعراضهم إلا بحقها، وهم إخوانكم في الدين، لهم مالكم وعليهم ماعليكم ، فإن هم أبوا أن يدخلوا في دينكم فاعرضوا عليهم الجزية ، أن يؤدوها عن يد وهم صاغرون، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم، وكفّوا عنهم، وإن أبوا فقاتلوهم، فإنه من قتل منكم كان شهيدًا عند الله مرزوقًا وأدخله الله الجنة، ومن قتل من عدوكم قتل كافرًا وصار إلى النار مخلدًا فيها أبدا .

ثم قال خالد : وهذا والله الذي لا إله إلا هو ، أمَر الله به نبيه، فعلَّمناه وأمرنا أن ندعو الناس إليه ، ونحن ندعوكم إلى مادعا إليه نبينا ،وإلى ما أمرنا به أن ندعو الناس إليه، فندعوكم إلى الإسلام، وإلى أن تشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وإلى أن تقيموا الصلاة، وتؤتوا الزكاة ، وتقروا بما جاء من عند الله عز وجل فإن فعلتم فأنتم إخواننا في الإسلام، لكم مالنا، وعليكم ماعلينا، وإن أبيتم فإنا نعرض عليكم أن تعطوا الجزية عن يد وأنتم صاغرون، فإن فعلتم قبلنا منكم، وكففنا عنكم، وإن أبيتم أن تفعلوا فقد والله جاءكم قوم، وهم أحرص على الموت منكم على الحياة ، فاخرجوا بنا على اسم الله حتى نحاكمكم إلى الله، فإنما الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين .

وهكذا أنهى خالد بيانه بهذه الخيارات الثلاثة التي دعا إليها باهان وجيشه، وقد تحير باهان أمامها وانزعج كثيرًا، لأنه لايرضى هو ولاقومه بالخيارين الأولين، فلم يبق إلا الخيار الثالث، وهو الذي حاول بكل جهوده السابقة أن يتلافاه لخوفه من مواجهته وشكِّه في عاقبته، ولكنه أمر لامحيد عنه ، ولذلك قال باهان: « أمَّا أن ندخل في دينكم فما أبعد من ترى من الناس من يترك دينه ويدخل في دينكم، وأما أن نؤدي الجزية - وتنفس صُعَدا وثقلت عليه وعظمت عنده. فقال - فسيموت من ترى جميعًا قبل أن يؤدوا الجزية إلى أحد من الناس، وهم يأخذون الجزية ولايعطونها، وأما قولك فاخرُجوا حتى يحكم الله بيننا فلعمري ماجاءك هؤلاء القوم وهذه الجموع إلا ليحاكموك إلى الله، وأما قولك إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده فصدقت، والله ماكانت هذه الأرض التي نقاتلكم عليها وتقاتلوننا فيها إلا لأمة من الأمم كانوا قبلنا فيها فقاتلناهم عليها فأخرجناهم منها، وقد كانت قبل ذلك لقوم آخرين فأخرجهم منها هؤلاء الذين كنا قاتلناهم فيها ، فابرزوا على اسم الله فإنا خارجون إليكم .

هذا وفي كلام باهان مايدل على تشاؤمه من هذه الحرب وأنه يتوقع أن يرث المسلمون بلاد الشام كما ورثها الروم من أسلافهم .

كما تدل هذه المحاورة على أن هذا القائد كان من أفضل قادة الروم وأنبلهم ولكن رجاحة العقل لاتجدي شيئًا إذا فُقِدت الهداية إلى الصراط المستقيم .

هذا وقد جاء في سياق الرواية المذكورة أن سفيان بن سليم الأزدي قال : قال لي الحارث بن عبد الله الأزدي : فلما فرغ باهان من كلامه وثب خالد فقام، وقمت معه، فمرّ بقبته فتركها له، ومضينا حتى خرجنا من عسكرهم .

قال: وبعث معنا صاحب الروم رجالا أخرجونا من عسكرهم، وحتى أمِنَّا .

قال: فرجعنا إلى أبي عبيدة ، فقص عليهم خالد الخبر، وأخبرهم بأن القتال سيقع بينهم، وقال للناس: استعدوا أيها الناس استعداد قوم يرون أنهم على ساعة مقاتلون ([[31]](#footnote-31)) .

مشورة باهان لأصحابه :

روى أبو إسماعيل الأزدي من خبر أبي جهضم الأزدي عن رجل من الروم قال: كنت مع باهان في عسكرهم ذلك قال: وقد كان أسلم وحسن إسلامه قال: كتب باهان إلى قيصر كتابا يخبره فيه بحاله وحال أصحابه وحال المسلمين، وكان قد جمع أصحابه يوم انصرف خالد عنهم ، فقال : أشيروا عليّ برأيكم في أمر هؤلاء القوم، فإني قد هَيّبْتهم ولاأراهم يهابون، وأطمعتهم فليسوا يطمعون، و أردتهم على الرجوع والخروج من بلدنا بكل وجه فليسوا براجعين، والقوم ليسوا يريدون إلا هلاككم واستئصالكم وسلب سلطانكم، وأكل بلادكم وسبي أولادكم ونسائكم وأخذ أموالكم، فإن كنتم أحرارًا فقاتلوا عن سلطانكم ، وامنعوا حريمكم ونساءكم وأولادكم وبلادكم وأموالكم .

فقامت البطارقة، رجل من بعد رجل، فكلهم يخبره أنه طيب النفس بالموت دون بلاده وسلطانه ، وقالوا له: إذا شئت فانهض بنا .

فقال لهم باهان: فكيف ترون بقتالهم ، فإنا أكثر من عشرة أضعافهم نحن نحوٌ من أربعمائة ألف، وهم نحو من ثلاثين ألفا،أو أقل أو أكثر قليلا .

فقال لـه بعضهم : أَخرِج إليهم في كل يوم مائة ألف يقاتلون وتستريح البقية وتُسرِّح بعيالنا وأثقالنا إلى البحر فلا يكون معنا شيء يهمنا ولايشغلنا، ويقاتلهم في كل يوم منا مائة ألف ، فهم في كل يوم في قتل وجراحات، وعناء ومشقة وشدة، ونحن لانقاتل إلا كل أربعة أيام يوما ، فإن هزموا منا في كل يوم مائة ألف بقي لهم أكثر من مائتي ألف لم ينهزموا .

وقال آخرون : لا ، ولكنا نرى إذا هم خرجوا إلينا أن تبعث إلى كل رجل منهم عشرة من أصحابك ، فلا والله لاتبعث عشرة على واحد إلا غلبوه .

فقال لهم باهان: هذا ما لايكون، وكيف أقدر على عددهم حتى أبعث إلى كل رجل منهم عشرة من أصحابي؟ وكيف أقدر على أن ينفرد الرجل منهم من صاحبه حتى أبعث إليه عشرة من قِبَلي؟ وهذا مالايكون .

قال: فأَجمعَ رأيهم جميعًا على أن يخرجوا بأجمعهم خرجة واحدة فيناجزوهم فيها، ثم لايرجعون عنهم حتى يحكم الله بينهم .

قال: فاجتمع رأي الروم كلهم على هذا .

قال: وكتب باهان إلى قيصر : أما بعد ، فإنا نسأل الله لك أيها الملك، ولجندك ولأهل مملكتك النصر، ولدينك وأهل سلطانك العز، فإنك قد بعثتني فيما لايحصيه من العدد إلا الله، فقدمت على قوم، فأرسلت إليهم، فهيَّبتهم ، فلم يهابوا، وأطمعْتهم فلم يطمعوا وخوَّفتهم فلم يخافوا، وسألتهم الصلح فلم يقبلوا، وجعلت لهم الجُعْل على أن ينصرفوا فلم يفعلوا، وقد ذُعر منهم جندك ذعرًا شديدًا، وقد خشيت أن يكون الفشل قد عمَّهم، والرعب قد دخل في قلوبهم، إلا أن منهم رجالا قد عرفتهم ليسوا بفُرَّار من عدوهم، ولاشُكَّاك في دينهم، ولو قد لقوهم لم يفروا حتى يظهروا أو يُقتلوا، وقد جمعت أهل الرأي من أصحابي وأهل النصيحة لملكنا وديننا فاجتمع رأيهم على النهوض إليهم جميعًا في يوم واحد، ثم لانزايلهم حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

قال: وكان باهان رأى رؤيا، وكتب بها إلى ملك الروم في كتابه هذا: وقد أتاني آت في منامي فقال لي: لاتقاتل هؤلاء القوم فإنهم إذَنْ يهلكونك ، فلما انتبهت من منامي عبَّرت أنه من الشيطان أراد أن يحزنني فخسأته، فإن يكن الشيطان فقد خسأته، وإلا يكن الشيطان فقد تبيَّن لي الأمر، فابعث أنت أيها الملك بثقلك وخدمك ومالك فألحقهم بأقصى بلادك وانتظر وقعتنا هذه ، فإن أظهرنا الله عليهم حمدت الله الذي أعزّ دينك، ومنع سلطانك، وإن هم ظهروا علينا فارض بقضاء الله ، واعلم أن الدنيا زائلة عنك، كما زالت عمن كان قبلنا ، ولاتأسف منها على مافاتك، ولاتغتبط منها بشيء مما في يديك، والْحَقْ بمعاقلك وبدار مملكتك، وأحسن إلى رعيتك وإلى الناس يحسن الله إليك، وارحم الضعفاء والمساكين تُرحم، وتواضع لله يرفعك، فإن الله لايحب المتكبرين ، والسلام ([[32]](#footnote-32)) .

استعداد الجيشين للمعركة :

قال : ثم إن باهان خرج إلى المسلمين في يوم ذي ضباب ورذاذ، فصف له عشرين صفًّا لايُرى طرفاهم ، ثم جعل على ميمنته وميسرته، فجعل ابن قناطر على ميمنته، وجعل معه جرجير في أهل أرمينية ، وجعل الدرنجار في ميسرته، وكان من خيارهم ونساكهم، فأقبلوا نحو المسلمين .

فلما نظر إليهم المسلمون وقد أقبلوا كأنهم الجراد قد ملؤوا الأرض كأنهم أعراض الجبال نهضوا إلى راياتهم .

وجاء خالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنة إلى أبي عبيدة، وهم الأمراء الذين كان أبو بكر الصديق أمَّرهم وبعثهم إلى الشام، فأتوا أبا عبيدة ومعه معاذ لايفارقه فقالوا له : إن هؤلاء قد زحفوا إلينا في مثل هذا اليوم المطير، وإنا لانرى أن نخرج إليهم فيه إلا أن يأتونا حتى يُلِطّوا([[33]](#footnote-33)) بعسكرنا ، أو يضطرونا إلى ذلك .

قال فإنكم قد أَصَبتم .

قال : وخرج أبو عبيدة ومعه معاذ بن جبل، فصفوا الناس وعبَّوهم، ووقفوهم على مراكزهم .

وأقبلت الروم في المطر، ووقفوا ساعة، وتصبَّروا عليه، فلما رأوا أن ذلك لايقلع ولاينقطع انصرفوا إلى عسكرهم.

قال: ودعا الدرنجار، وكان فيهم ناسكا، رجلا من العرب ممن كان على دين النصرانية ، فقال له : ادخل في عسكر هذا القوم، فانظر ماهَدْيهم وماحالهم وما أعمالهم وما يصنعون وكيف سيرتهم؟ ثم الْقَني بها .

فخرج ذلك الرجل حتى دخل عسكر المسلمين ، فلم يستنكروه لأنه كان رجلا من العرب، لسانه ووجهه، فمكث في عسكرهم ليلة حتى أصبح ، فوجد المسلمين يصلون الليل كله كأنهم في النهار، ثم أصبح ، فأقام عامة يومه، ثم خرج إليه ، فقال له:

جئتك من عند قوم يقومون الليل كله يصلون، ويصومون النهار، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر، رهبان بالليل، أُسْد بالنهار لو يسرق ملكهم لقطعوا يده، ولو زنى لرجموه، لإيثارهم الحق، واتباعهم إياه على الهوى .

فقال : لئن كان هؤلاء القوم كما تزعم، وكما ذكرت لبطن الأرض خير لمن يريد قتالهم ولقاءهم من ظهرها ([[34]](#footnote-34)) .

لقد كان ذلك الرجل النصراني لمَّاحًا سريع الفهم، حيث فهم مزايا المسلمين العالية بتلك السرعة وكان صادقًا عادلا حيث أبرز تلك المزايا لمن بعثه بأمانة، وهي صفات جذابة لأصحاب العقول السامية والأفكار السليمة، وفي الوقت نفسه هي صفات مرعبة للأعداء ، لأن الذين بلغوا ذلك الحد من العبادة وأقاموا حياتهم على العدل والحق، لابد أنهم سيُحظَون بحب الله تعالى ونصره وتأييده ، ولابد أن تكون نفوسهم قوية وثابة نحو المعالي، بحيث تَستنفِدُ كل طاقات أجسامها في خدمة أهدافها السامية، وفي سبيل ذلك تُذلِّل جميع الصعوبات وتستهين بجميع العوائق والعقبات ، ومن كان الله جل وعلا معه فلن يُخذَل، ومن كان يحمل نفسا قوية فلن يُغلَب، فلذلك ندم الدُّرَنْجار على قتال هؤلاء المسلمين المصطفَين الأخيار .

وفي رواية للطبري أن رجلا قال لخالد بن الوليد : ماأكثر الروم وأقل المسلمين ! فقال خالد: ما أقل الروم وأكثر المسلمين ، إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان، لابعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر براء من توجِّيه([[35]](#footnote-35)) وأنهم أُضعِفوا في العدد ([[36]](#footnote-36)) .

وهذا مثل على شجاعة خالد وقوة إيمانه وثقته العالية بنصر الله تعالى ، حيث لاينظر إلى عدد الأعداء مهما بلغوا، وقد حاول بكلامه هذا تعديل موازين المعركة، حيث إن الأعداء يبلغون عشرة أضعاف المسلمين ، فلابد أن يوازن ذلك قوة عالية في الروح المعنوية لدى المسلمين تُعوض ذلك الفرق الكبير في العدد .

عيون للمسلمين :

فلما كان الغد خرجوا أيضًا في يوم ذي ضباب، وأتى المسلمين رجال من العرب كانوا نصارى فأسلموا .

فقال لهم أبو عبيدة ، وخالد بن الوليد: ادخلوا في عسكر الروم، فاكتموهم إسلامكم، والْقَونا بأخبارهم، فإن في هذا لكم أجرًا، والله حاسبه لكم جهادًا، فإنكم تدفعون بذلك حرمة الإسلام، وتدلُّون على عورة أهل الشرك، فانطلقوا ، فدخلوا عسكر الروم، ثم جاءوا بعد ما مضى من الليل نصفه .

فأتوا أبا عبيدة بن الجراح، فقالوا لـه : إن القوم قد أوقدوا النيران، وهم يتعبَّون لكم ، ويتهيأون لقتالكم، وهم مصبحوكم بالغداة، فما كنتم صانعين، فاصنعوا الآن .

فخرج أبو عبيدة ، ومعاذ بن جبل، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص فعبَّوا الناس، وصففوفهم، فلم يزالوا في ذلك حتى أصبحوا ([[37]](#footnote-37)) .

مبشرات بالنصر :

أخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من حديث راشد بن عبد الرحمن الأزدي قال، صلى بنا أبو عبيدة بن الجراح يومئذ صلاة الغداة في عسكره، في الغداة التي لقينا فيها الروم باليرموك، فقرأ في أول ركعة : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ فلما مرَّ بقول الله عز وجل : ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ إلى قوله : ﭽ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ [الفجر : 1-14] قلت في نفسي ظهرنا والله على القوم للذي أُجرِي على لسانه، وسُررت بذلك سرورًا عظيمًا، وقلت: عدوُّنا والله هذا نظير هذه الأمة في الكفر والكثرة والمعاصي .

قال : ثم قرأ في الركعة الثانيةﭽ ﭑ ﭒ ﭼ فلما مرَّ بقول الله عز وجلﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ إلى خاتمة السورة [ الشمس : 11-15] فقلت في نفسي وهذه أخرى إن صدق([[38]](#footnote-38)) ليصبَّنَّ الله عليهم سوط عذاب، ولَيُدَمْدِمَنَّ عليهم كما دمدم على هذه القرون من قبلهم .

قال : فلما قضى أبو عبيدة صلاته أقبل على الناس بوجهه، فقال: أيها الناس أبشروا ، فإني رأيت في ليلتي هذه فيما يرى النائم كأن رجالا أتوني، فحفُّوا بي، وعليَّ ثياب بيض، ثم دعوا لي رجالا منكم أعرفهم، ثم قالوا لنا : أَقدموا على عدوكم ولاتهابوهم، فإنكم الأعلون، وكأنَّا مضينا إلى عسكر عدونا، فلما رأونا قاصدين إليهم انفرجوا لنا انفراج الرأس، وجئنا حتى دخلنا عسكرهم وولَّوا مدبرين .

فقال له الناس : أصلحك الله نامت عينك، هذه بشرى من الله، بشرك الله بخير.

فقال أبو مَرثد الخْولاني، وأنا أصلحك الله قد رأيت رؤيا، إنها لبشرى من الله، وإني رأيت في هذه الليلة فيما يرى النائم كأنَّا خرجنا إلى عدونا، فلما توقفنا صبَّ الله عليهم من السماء طيرًا بيضا عظاما، لها مخالب كمخالب الأُسْد، وهي تنقض من السماء انقضاض العُقْبان، فإذا حاذت بالرجل من المشركين ضربته ضربة يخرُّ منها منقطعًا، وكأنَّ الناس يقولون، أبشروا معاشر المسلمين، فقد أيدكم الله عليهم بالملائكة .

قال : فتباشر المسلمون بهذه الرؤيا ، وسُرُّوا بها .

فقال أبو عبيدة : وهذه والله بشرى من الله، فحدثوا بهذه الرؤيا الناس، فإن مثلها من الرؤيا يشجِّع المسلم، ويحسِّن ظنه وينشِّطه للقاء عدوه .

قال : وانتشرت هذه الرؤيا ورؤيا أبي عبيدة في المسلمين، وفرحوا واستبشروا بهما([[39]](#footnote-39)) .

وهكذا نرى أن الله جل جلاله مع المؤمنين بنصره وتأييده ، ولاشك أن هذه الرُّؤَى كان لها الأثر البالغ في رفع معنوية المسلمين .

هذا ومما ينبغي ذكره أن هذا النصر من الله تعالى للمؤمنين، وتسكين قلوبهم، ومنحهم البشرى والسرور قبل الدخول في المعركة لم يكن لمجرد كونهم مسلمين في الظاهر وإنما ذلك لكونهم من المؤمنين الصادقين الذين لم يتسرب إلى قلوبهم اعتبار أي قوة من قوى الأرض، ولم يستلهموا النصر والتأييد إلا من الله تعالى ، وكانت ثقتهم به عظيمة واعتمادهم عليه وحده في طلب النصر .

ومن هنا ندرك الفرق الكبير بين جيوش الصحابة وجيوش كثير من المسلمين بعد ذلك، حيث تخلف النصر عنهم وتسلط الأعداء عليهم، لأنهم كانوا لايذكرون الله تعالى في حروبهم إلا قليلا فتخلَّى الله عنهم ووكلهم إلى حولهم وقوتهم.

ومع إيمان الصحابة الراسخ بأن الله تعالى مع أوليائه في شدتهم ورخائهم فإنهم لم يعتمدوا على التوكل وحده ، بل قاموا بتحقيق كل ما أمكنهم من أسباب النصر المعروفة، فجمعوا جيوشهم في جيش واحد واختاروا المكان المناسب وطلبوا المدد من أمير المؤمنين ، إلى غير ذلك من الأسباب ،مع استصحاب التوكل على الله تعالى وطلب المدد منه في كل أحوالهم، واعتبار أن العمل بالأسباب المادية من طاعة الله تعالى فهو الذي أمرهم بإعداد القوة للكفار، والاجتماع لقتالهم، وطاعة الأمراء، فحققوا كل عوامل النصر التي تخضع لأوامر الله تعالى ورسوله .

إنذار الروم بالهزيمة :

قال أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي: وحدثني أبو جهضم الأزدي عن رجل من الروم - وحدثني في خلافة عبد الملك بن مروان - أن رجلا من عظماء الروم أتى باهان في صبيحة الليلة التي خرج إلى المسلمين باليرموك فقال: إني رأيت رؤيا، وأريد أن أحدثك بها، قال : هاتها .

قال: رأيت كأن رجالا نزلوا إلينا من السماء طوالا أحدهم أبعد من مدِّ بصره، فنـزعوا سيوفنا من أغمادها، وأسنة رماحنا من أطرافها، ثم لم يدعوا منّا رجلا إلا كتَّفوه، ثم قالوا لنا، اهربوا فأكثركم هالك، فأخذنا نهرب، فمنا من يسقط على وجهه، ومنا من يتبلَّد لايستطيع أن يبرح من مكانه ، ومنا من يحلُّ كتافه، ثم يسعى حتى لانراه .

قال له باهان : أما من رأيت يسقط على وجهه، ومن رأيته يتبلد ولايطيق أن يسعى، ولايتنحَّى من مكانه فهؤلاء الذين يهلكون، وأما الذي رأيت يحلُّون كتافهم ويسعون فلا تراهم،فأولئك الذين ينجون([[40]](#footnote-40)) .

وهكذا في الوقت الذي ارتفعت فيه معنوية المؤمنين بما أراهم الله في المنام من البشرى انحطت معنوية الكفار بما أراهم الله في المنام من الرعب والإرهاب، فقد أصاب «باهان» اليأس وأيقن بالهزيمة والموت .

استعداد الجيشين للمواجهة :

قال أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي:حدثني الصقعب بن زهير عن المهاجر بن صيفي عن راشد بن عبد الرحمن الأزدي قال: خرج إلينا باهان يوم اليرموك في يوم ذي ضباب، فخرج إلينا في عشرين صفا،وهم في نحو من أربعمائة ألف،فجعل ابن قُناطر في ميمنته، وجعل معه جُرجير صاحب أرمينية،وجعل الدُّرُنْجار في ميسرته،وكان من نساكهم،ثم زحف إلى المسلمين مثل الليل والسيل.

وأصبح المسلمون طيبة نفوسهم بقتال المشركين، وقد شرح الله لهم صدورهم، وشجع قلوبهم على لقاء عدوهم، فهم أشد شيء بصيرة،وأحسنه نية على باهان، وأعظمه حسبة،وأحرصه على لقائهم .

فأخرجهم أبو عبيدة، وجعل على ميمنته معاذ بن جبل، وعلى ميسرته قُبَاث بن أشْيم، وجعل على الرّجالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وجعل على الخيل خالد بن الوليد .

فلما برز المسلمون إليهم سار أبو عبيدة في المسلمين، ثم قال: ياعباد الله انصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ، فإن وعد الله حق، يامعشر المسلمين اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار - أي مفشلة - فلا تبرحوا مصافكم ولاتخطوا إليهم خطوة، ولاتبدؤوهم بقتال، وأشرعوا الرماح، واستتروا بالدَّرق، والزموا الصمت إلا من ذكر الله حتى آمركم إن شاء الله .

قال : وخرج معاذ بن جبل يقص على الناس ويقول : ياقراء القرآن ومستْحَفظِي الكتاب وأنصار الهدى وأولياء الحق، إن رحمة الله والله لاتُنال وجنَّته لاتُدخل بالأماني ولايؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادقين المصدقين بما وعدهم الله عز وجل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل : ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ..[النور : 55] أنتم إن شاء الله منصورونﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘﭙ ﭚﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ [الأنفال :46] واستحيوا من ربكم أن يراكم فرَّارًا من عدوكم، وأنتم في قبضته ورحمته ، وليس لأحد منكم ملجأ ولا ملتجأ من دونه، ولامُتعَزَّزَ بغير الله، فجعل يمشي في الصفوف، ويحرضهم ويقصّ عليهم، ثم انصرف إلى موقفه .

وقال أبو إسماعيل الأزدي وحدثني محمد بن يوسف عن ثابت ابن سهل بن سعد الأنصاري قال : ومرَّ عمرو بن العاص على الناس يومئذ ، فجعل يعظهم ويقص عليهم ويحرضهم، ويقول: أيها الناس غُضُّوا أبصاركم، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح،والزموا مراكزكم ومصافكم، فإذا حمل عليكم عدوكم فأمهلوهم حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فَثِبُوا في وجوههم وثوب الأُسْد، فو الذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب ويعاقب عليه، ويجزي بالإحسان لقد بلغني أن المسلمين سيفتحونها كَفْرًا كفرا ([[41]](#footnote-41)) ، وَقصْرًا قصرا، فلا يهولنَّكم جموعهم ولاعددهم ،فإنكم لو صدقتموهم الشدَّة لقد انذعروا انذعار أولاد الحجل ([[42]](#footnote-42)) .

قال : وكان أبو سفيان يومئذ يسير في الناس ، ويقف على أهل كل راية وعلى كل جماعة ،فيحرض الناس ويحضُّهم ويعظهم ويقول: إنكم يامعشر المسلمين أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الإبل، نائين عن أمير المؤمنين وأمداد المسلمين، وقد والله أصبحتم بإزاء عدو كثير عددهم ، شديد عليكم حنَقُهم ، وقد وترتموهم في أنفسهم ونسائهم، وأولادهم وأموالهم وبلادهم، فلا والله لاينجيكم منهم اليوم وتبلغون رضوان الله إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، فامتنعوا بسيوفكم، وتقربوا بها إلى خالقكم ، ولتكن هي الحصون التي تلجؤون إليها، وبها تُمنعون([[43]](#footnote-43)).

هذا ولقد كان لكلمات هؤلاء الصحابة وأمثالها أثر بالغ على عموم المسلمين ، فإن الموقف كان شديدًا تعلوه الرهبة والتخوف من وقع المفاجأة حينما يقابل الفرد المسلم عشرة من الكفار، فكان لابد من قيام أهل الشجاعة والرسوخ في العلم من تثبيت أفراد الجيش الإسلامي ليواجهوا هول الصدمة بالثبات والصبر .

وصف المعركة :

أخرج محمد بن عبد الله الأزدي من خبر ثابت بن سهل بن سعيد الأنصاري قال وزحف الروم إلى المسلمين وهم يزفُّون زفّـًا، ومعهم الصلبان، وأقبلوا بالأساقفة والقسيسين والرهبان، والبطارقة والفرسان،ولهم دويّ كدوي الرعد، وقد تبايع عُظْمُهم على الموت، ودخل منهم ثلاثون ألفا، كل عشرة في سلسلة لئلا يفروا .

فلما نظر إليهم خالد بن الوليد مقبلين أقبل إلى نساء المسلمين وهنَّ على تل مرتفع في العسكر ، فقال: يانساء المسلمين ، أيما رجل أدركتنَّه منهزمًا فاقْتُلْنَه فأخذن الخناجر، ثم أقبلن نحو المسلمين ، فقلن: لستم ببعولتنا إن لم تمنعونا اليوم .

وأقبل خالد إلى أبي عبيدة فقال له : إن هؤلاء قد أقبلوا بعدد وجدٍّ وَحدٍّ وإن لهم لشدَّة لايردها شيء، وليست خيل المسلمين بكثيرة، ولا والله لاقامت خيلي لشَدَّة حملتهم وخيلهم ورجالهم أبدا، وخيل خالد يومئذ أمام صفوف المسلمين، والمسلمون ثلاثة صفوف .

قال خالد :فقد رأيت أن أفرق خيلي فأكون أنا في إحدى الخيلين،ويكون قيس بن هبيرة في الخيل الأخرى، ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة . فإذا حملوا على الناس ، فإن ثبت المسلمون، فالله ثبتهم وثبت أقدامهم، وإن كانت الأخرى حملنا عليهم بخيولنا، وهي جامّة على ميمنتهم وميسرتهم، وقد انتهت شَدَّة خيلهم وقوتها، وتفرقت جماعتهم ، ونقضوا صفوفهم، وصاروا نَشَرًا ، ثم نحمل عليهم وهم على تلك الحال، فأرجو عندها أن يظفرنا الله بهم، ويجعل دائرة السوء عليهم.

وقال لأبي عبيدة : قد رأيت لك أن توقف سعيد بن زيد موقفك هذا، وتقف أنت من ورائه في جماعة حسنة، فتكونوا ردءًا للمسلمين .

فقبل منه أبو عبيدة مشورته، وقال: افعل ماأراك الله، وأنا فاعل ماذكرت، فأمر أبو عبيدة سعيد بن زيد ، فوقف في مكانه، وركب أبو عبيدة، فسار في الناس يحرضهم، ويوصيهم بتقوى الله والصبر، ثم انصرف ، فوقف من وراءِ الناس ردءًا لهم ([[44]](#footnote-44)) .

وهكذا لما اقترب الروم من المسلمين وفَّق الله خالد بن الوليد إلى خطة تكمل مابدأه من خطته السابقة التي قسم بها الجيش إلى أربعين كتيبة تقريبًا ، وذلك أنه رأى ضخامة جيش الروم ومايتقدمه من الخيول التي تزيد عن خيول المسلمين أضعافا، فأدرك أنه سيكون لهم شَدَّة عنيفة تؤثر فيمن يواجههم ، وهو يدرك بألمعيته وخبرته الحربية العالية أن مقاومة الجيوش الضخمة بجيوش لاتزيد عن عشرها لايكون بمجرد المواجهة والاعتماد على الشجاعة والصبر والثبات ، وإنما لابد مع ذلك من إعمال الفكر واستعمال الحيل، وذلك في تتبع نقاط الضعف لدى الأعداء ثم الاستفادة من ذلك بالهجوم المركَّز الذي يبهت الأعداء ويحول بينهم وبين الاستفادة من طاقتهم ، فيبقى أكوام منهم معطلين لايستطيعون المواجهة بمفردهم .

ونتيجة لهذا التفكير فقد رأى خالد أن يقسم خيله قسمين، يكون هو على رأس قسم منهما وعلى الآخر قيس بن هبيرة المرادي الذي كان يعدُّ الرجل الثاني في الفروسية بعد خالد، فيكون أحدهما خلف ميمنة المسلمين والآخر خلف ميسرتهم ، حتى إذا انتهت شَدَّة فرسان الروم الأولى واختلطوا بجيش المسلمين خرج لهم خالد وقيس بفرسان المسلمين من الميمنة والميسرة فأوقعوا الخلل في صفوفهم .

قال محمد بن عبد الله الأزدي في سياق خبر ثابت بن سهل الأنصاري : وأقبلت الروم كقطع الليل حتى إذا حاذوا الميمنة نادى معاذ بن جبل الناس، فقال: ياعباد الله المسلمين، إن هؤلاء قد تيسروا للشَّدَّة عليكم، ولا والله لايردهم إلا صدق اللقاء والصبر على البأساء، ثم نزل عن فرسه : وقال: من أراد أن يأخذ فرسي ويقاتل عليه فليأخذه، فوثب إليه ابنه عبد الرحمن بن معاذ وهو غلام حين احتلم. فقال: ياأبت ، إني لأرجو أن أكون أنا فارسًا أعظم غناء عن المسلمين مني راجلا، وأنت ياأبت راجلٌ أعظم غناء منك فارسا، وعُظْم المسلمين رجالة، وإذا رأوك صابرًا محافظًا صبروا إن شاء الله وحافظوا .

فقال له معاذ بن جبل: وفقني الله وإياك يابني لما يحب ويرضاه، فقاتل معاذ وابنه قتالا ماقاتل مثله كثير من المسلمين .

ثم إن الروم تحاضّوا وتداعوا ، وقَصَّت عليهم الأساقفة والرهبان، وقد دنوا من المسلمين ، فإذا سمع معاذ ذلك منهم قال: اللهم زلزل أقدامهم ،وأرعب قلوبهم، وأنزل علينا السكينة، وألزمنا كلمة التقوى، وحبب إلينا اللقاءَ، ورضِّنا بالقضاء .

قال : وخرج باهان صاحب الروم ، فجال في أصحابه وتيسَّر ، وأمرهم بالصبر والقتال دون ذراريِّهم وأموالهم وسلطانهم وبلادهم، ثم بعث إلى صاحب الميسرة أن احمل عليهم، وكان عليها الدَّرَنْجار، وكان متنسكا، فقالت البطارقة والرؤوس الذين معه : قد أمركم أميركم أن تحملوا عليهم .

قال : وتهيأت البطارقة ، ثم شدوا على الميمنة، وفيها الأزْد، ومذْحج وحضرموت وحمْيَر وخوْلان ، فثبتوا حتى صدقوا ، واقتتلوا قتالا شديدًا .

ثم إنه ركبهم من الروم أمثال الجبال ، فأزالوا المسلمين من الميمنة إلى ناحية من القلب، فانكشفت طائفة من المسلمين إلى المعسكر، وثبت عُظْم الناس فلم يزولوا ، وقاتلوا تحت راياتهم ولم ينكشفوا، ولم تنكشف يومئذ زَبِيد وهي في الميمنة، وفيهم الحجاج بن عبد يغوث أبو عمرو بن الحجاج ، فنادى : ياخَيْفان([[45]](#footnote-45)) ياخيفان، فاجتمعوا إليه، ثم شدوا على الروم، وهم في نحو من خمسمائة رجل شدة شديدة ، فلم يتنهنهوا حتى خالطوا الروم، ثم قاتلوا قتالا شديدًا، وشغلوهم عن اتِّباع من انكشف من المسلمين، وشدت عليهم حمير وحضْرَمَوت وخولان بعدما كانوا زالوا ، ثم رجعوا إلى مواقفهم حتى وقفوا في الصف حيث كانوا .

واستقبلت النساء المسلمين وهم منهزمون ، ومعهن العناَهِر (وقال العناهرُ عمُد البيوت) فأخذن يضربن بها وجوههم .

قال سهل بن سعد :أخذت خولة ابنة ثعلبة بن مالك بن الدُّخْشُم عمودًا من تلك العمد، ثم أقبلت نحو المنهزمة وهي ترتجز وتقول :

ياهَـارِبًا عَـنْ نِسْـوةٍ تَقِـيَّات رُمِيتَ بالسَّـهْم وَبالمنِيَّات

فعَـنْ قَليِلٍ مــاَنُـرَى سَبِيَّات غير حظِـيَّات ولارضيَّات([[46]](#footnote-46))

كل هذا وخالد بن الوليد يقف بخـيله خـلف الميمنة ينتظر اللحظة المناسبة للهجوم الكاسح الذي يرجو أن يحسم به المعركة، وكان قد توقع حدوث بعض الخلل في جيش المسلمين لأنه يدرك ضخامة العبء الذي سيصبُّ على المسلمين حيث سيواجه ثلاثة صفوف من المسلمين عشرين صفًّا من الروم، فوضع خطته الحربية التي نوَّهنا عنها سابقًا، وقد حان له الآن تنفيذها، فهجم بخيله هجومًا قويًّا شديدًا على جيش الروم من جانب ميسرتهم فقتل منهم في حملته تلك نحوًا من عشرة آلاف ودخل كثير منهم معسكر المسلمين مجرحين وهاربين من عنف الهجوم الكاسح، ولما قضى خالد على هجوم الروم ورفع الضغط عن المسلمين عاد يتتبع بفرسانه الروم الذين دخلوا معسكر المسلمين ، ثم جمع خيله ونادى فيهم وفي عموم الجيش : ياأهل الإسلام لم يبق عند القوم من الجلَد والقتال والقوة إلا ما قد ر أيتم، فالشَّدَّةَ الشدة ، فو الذي نفسي بيده ليعطينكم الله الظفر عليهم الساعة، إني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم .

فجعل لايسمع هذا القول من خالد أحد من المسلمين إلا شجعه عليهم([[47]](#footnote-47)) .

وقد كان خالد جعل خلف الميسرة نصف الفرسان بقيادة قيس بن هبيرة حسب خطته السابقة وقد قام قيس بمثل الهجوم الذي قام به خالد في الميمنة، فإنه لما أحس بأن فرسان الروم قد فقدوا كثيرًا من طاقتهم واشتدت الوطأة على المسلمين هجم بفرسانه من جانب ميمنة الروم فقصف بعضهم على بعض كما فعل خالد وقتل منهم عددًا كبيرًا([[48]](#footnote-48)).

أما قلب الجيش الإسلامي فقد كان في مقدمته سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عم عمر بن الخطاب وأحد العشرة المبشرين بالجنة أجمعين وقد كان أسدًا في الحروب لايهاب الأهوال، ولهذا كان أبو عبيدة يختاره للمقدمة لتفوقه في الثبات أمام الأعداء، ومن ورائه شرحبيل بن حسنة، ثم أبو عبيدة في جماعة من المسلمين. وقد كان في مقابلهم من جيش الروم جبلة بن الأيهم في عرب الشام، والأرمن بقيادة جرجير فتوجهوا إليه كأمثال الجبال ولكن موجاتهم العاتية تحطمت أمام ثبات سعيد بن زيد ومن معه من الأبطال، فثبت قلب الجيش الإسلامي ولم يتزحزح، وكان من أهم عوامل ثباته وجود أبي عبيدة في كتيبة من وجوه المسلمين خلف القلب ، فكان من أوجعه حر القتال وفكر في أن ينهزم يستحي أن يمرَّ بأبي عبيدة وهو منهزم، وإن وجود أبي عبيدة خلف الجيش جزء من خطة خالد التي سبق ذكرها وقد تبينت نتائجها الحسنة في سير المعركة.

وفي الإشادة بجهود سعيد بن زيد يقول حبيب بن مسلمة: اضطُرِرنا يوم اليرموك إلى سعيد بن زيد ، فلله در سعيد، ماسعيد يومئذ إلا مثل الأسد،جثا والله على ركبتيه حتى إذا دنوا منه وثب في وجوههم مثل الليث فطعن برايته أول رجل من القوم فقتله، وأخذ والله يقاتل راجلا قتال الرجل الشجاع البأس فارسا ([[49]](#footnote-49)) .

هذا وقد نجحت خطة خالد بالهجوم المباغت بفرسان المسلمين من جانبي جيش الروم ، فاستطاع بذلك أن يفصل بين مشاة الروم الذين مايزالون في مصافِّهم وبين فرسانهم الذين دخلوا في جيش المسلمين وخرج كثير منهم من الخلف .

وقد ساعد على نجاح هذه الخطة قلة كثافة الجيش الإسلامي فكان فرسان الروم يخترقونه بسرعة،ثم يهرب كثير منهم في الصحراء، خاصة بعد هجوم فرسان المسلمين، والروم كغيرهم من الكفار ليس لديهم استعداد للتضحية بأنفسهم ، فإن أهم شيء عندهم وقاية أنفسهم من الخطر، وقد كانوا قبل هذه المعركة يفرون من أول لقاء مع المسلمين ، فجاءت تعليمات هرقل لباهان أن يختار للجيش مكانا واسع المُطَّرد ضيق المهرب، فاختار ذلك المكان المقفل من الجهات الثلاث بحيث لايمكن الهروب إلا باختراق جيش المسلمين، ونظرًا لخبرة المسلمين بالروم فقد أفسحوا لهم المجال للهرب فكان من يخترق جيشهم لايرجع إلى قومه في الغالب فأصبح مشاة الروم بدون فرسان في مواجهة المسلمين، عند ذلك نهد خالد بالجيش كله للهجوم على جيش الأعداء وقد كان معظمهم من المشاة، وقد ابتدأ الهجوم من القلب حيث أمر عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو أن ينشبا القتال الشامل وكانا على مجنبتي القلب .

فأنشبا القتال وارتجز القعقاع وقال :

ياليتـني ألـقـاك في الـطِّراد قبل اعـترام الجحفل الورَّاد

وأنت في حلبتك الوِرادِ

وقال عكرمة :

قد علِمَتْ بَهْكَنة الجـواري أنِّـي عـلى مَكرُمَة أُحامي ([[50]](#footnote-50))

وشد المسلمون عليهم جميعًا شَدَّة واحدة، وكان الأعداء في رعب شديد لما وقع لفرسانهم ، فكانت مقاومتهم ضعيفة جدًّا، حتى شبَّههم بعض الرواة بالحائط كما جاء في رواية للطبري « وأقبل خالد والمسلمون على الرَّجْل - يعني المشاة - ففضُّوهم فكأنما هُدم بهم حائط » ([[51]](#footnote-51)) . ومازال المسلمون يقتلونهم وهم يتراجعون إلى الخلف، حتى اقتحموا خندقهم فاقتحمه المسلمون معهم ، ومازال المسلمون يقتلون منهم وهم يتراجعون إلى الخلف حيث يسيرون إلى مهلكهم، ذلك أن مكان المعركة يضيق شيئًا فشيئًا بين نهر الرقاد ونهر اليرموك حتى يلتقيان في الأخير ، واستمر المسلمون في قتالهم ودَفْعهم حتى أظلم الليل عليهم، والمسلمون يواصلون القتال، حيث لايمنعهم من ذلك ظلام الليل ولاطول جلاد، إلى أن تهافت الروم في هاوية سحيقة في نهر الرقاد، فسميت تلك الهاوية الواقوصة لأن الروم وُقصوا فيها، وقد هلك منهم في الواقوصة نحو مائة وعشرين ألفا، وقد كان اقترن منهم بالسلاسل ثمانون ألفا كل عشرة في سلسلة، فكانوا إذا هوى منهم واحد هوى أصحابه المقترنون معه، وقتل منهم في المعركة بعدما أدبروا نحو من خمسين ألفا ([[52]](#footnote-52)) .

وهكذا عاد تخطيطهم أكبر وبال عليهم، فلما كانت نقطة الضعف البارزة لديهم هي الفرار عند اللقاء حاولوا تلافي ذلك باختيار هذا المكان الذي يصعب الفرار منه،وقرنوا جنودهم بالسلاسل من أجل أن لايفروا ، فكان ذلك سببًا في هلاك هذا العدد الهائل منهم، وهكذا يجعل الله تخطيط الكافرين وبالا عليهم، ويهدي المسلمين إلى التخطيط الناجح المحطِّم لعدوهم، فله سبحانه الحمد والمنة .

وأخرج الأزدي من خبر حنظلة بن جُوَيَّة قال : واتبعهم خالد بن الوليد ، ، على الخيل، يقتلهم في كل واد وكل شعب، وفي كل جبل وفي كل ناحية ، فلم يزل يقتلهم حتى انتهى إلى دمشق .

فخرج إليه أهل دمشق فاستقبلوه ، وقالوا : نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم .

فقال خالد لهم : أنتم على عهدكم .

ثم اتبعهم خالد، فجعل يقتلهم في القرى والأودية، وفي الجبال والشعاب، والسهل والجبل، وفي كل وجه .

فلم يزل يقتلهم حتى انتهى إلى حمص .

فخرج إليه أهل حمص، فقالوا له مثل ماقال له أهل دمشق .

وقال لهم : نحن على ماكان بيننا وبينكم .

وأقبل أبو عبيدة على قتلى المسلمين، يرحمهم الله ، وجزاهم عن الإسلام وعن أهله خيرًا ، فدفنهم ([[53]](#footnote-53)) .

هذا وإننا حينما نتصور انتصار هذه الفئة القليلة التي لاتتجاوز عُشر جيش عدو قد أقبل وهو مملوء بالغيظ والعداء ، وقد اكتسب خبرة كافية في قتال المسلمين ، وتعاهد كبراؤه على الموت في سبيل الدفاع عن مملكة الروم ..

إننا حينما نتصور انتصار هذه الفئة على هذا العدو الهائل يتملكنا العجب، وتهيمن علينا الحيرة ، فإن هذا الانتصار في مقاييس البشر أقرب إلى الاستحالة .

إن الذي يتصوره الذهن المجرد أن جيش الروم الهائل سيطْبق على جيش المسلمين من كل جهة ، وسيشلُّ حركتهم ويتركهم كأمس الذاهب .

ولكن الذي يمحو هذا التصور من أذهاننا، والذي محاه قبل ذلك من أذهان المسلمين آنذاك هو الإيمان الراسخ بأن المسلمين الصادقين ليسوا وحدهم في الميدان، وإنما هم موصولون بقوة الله العلي القدير، ومن كانوا كذلك فإنهم لايُغلبون أبدا حتى يقع منهم الإخلال بشيء من واجبهم مع الله تعالى .

وفي ذلك يقول خالد بن الوليد في حال المشورة قبل المعركة: «وإن كنا إنما نقاتلهم بالله ولله فما جماعتهم ولو كانوا أهل الأرض أنها تغني عنهم شيئًا » .

وقد ثبت أن الله تعالى أمد أولياءه المؤمنين بالملائكة في أكثر من موطن، فقد أمدهم في بدر وحنين، وجعل سبحانه الشرط اللازم لهذا الإمداد أن يتحلَّى المؤمنون بالتقوى والصبر كماجاء في قوله تعالى : ﭽﭹﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ [آل عمران :125] .

وقد كان الصحابة مثلا أعلى في تقوى الله تعالى والصبر على حر القتال .

وإن هؤلاء الذين أمدهم الله تعالى في عهد النبوة بالملائكة قد حضر اليرموك منهم ألف صحابي منهم مائة من أهل بدروصحبهم من التابعين من كانوا على نية صادقة واحتساب،وإن الصحابة الذين أمدهم الله تعالى بالملائكة في بدر وحنين لم يفقدوا في حروبهم بعد ذلك إلا شخص النبي ،ولكنهم ظلوا بعده على العهد لم يبدِّلوا ولم يغيروا،فحَريٌّ بهم وهم كذلك أن تنـزل عليهم الملائكة لنصرهم .

تحديد تاريخ المعركة :

تُعدُّ معركة اليرموك كبرى معارك المسلمين،ومع كونها بهذا الحجم الكبير وأنها المعركة الفاصلة بين المسلمين والروم فقد اختلف المؤرخون في تاريخ حدوثها اختلافًا كبيرًا،فنجد سيف بن عمر الضَّبِّى يؤرخ لهذه المعركة في شهر جمادى الآخرة من العام الثالث عشر ويعدُّها أولى المعارك الكبرى في الشام ويعتمد ذلك ابن جرير الطبري،بينما نجد جمهور المؤرخين يَعدُّونها في شهر رجب من العام الخامس عشر ويجعلونها آخر المعارك الكبرى في الشام،وممن قال بذلك ابن إسحاق والواقدي والأزدي وابن الكلبي والبلاذري وابن عساكر،وقد ذكر في ذلك تسعة أقوال،ثم قال:وهذه الأقوال هي المحفوظة في تاريخ اليرموك،وقد ذكر سيف بن عمر أنها كانت قبل فتح دمشق في أول خلافة عمر سنة ثلاث عشرة،ولم يتابع على ذلك([[54]](#footnote-54)).

وقال الإمام الذهبي : نزلت الروم اليرموك في رجب سنة خمس عشرة ، وقيل سنة ثلاث عشرة وأراه وهمًا ([[55]](#footnote-55)) .

ولاشك بأن قول الجمهور بأنها كانت في العام الخامس عشر أرجح للدلائل التالية :

1- أن كثيرًا من التفاصيل التي مرَّ ذكرها لاتنطبق على كون المعركة في العام الثالث عشر وفي أواخر حياة الصديق رضي الله عنه، ومن ذلك الرسائل المتبادلة بين أبي عبيدة وعمر رضي الله عنهما، فهذا يدل قطعًا على أنها كانت في خلافة عمر، والرسائل أكثرها كان قبل المعركة([[56]](#footnote-56)) .

2- أنه جاء في خطاب هرقل الذي خاطب به عظماء الروم بعد فتح المسلمين لحمص « وقد قاتلتموهم - يعني المسلمين - غير مرة بأجنادين وفحل ودمشق والأردن وفلسطين وحمص » فذكر معارك الشام الكبرى ولم يذكر اليرموك مع شهرتها مما يدل على أنها لم تحدث آنذاك ([[57]](#footnote-57)).

3- جاء في أحداث اليرموك أن باهان قائد الروم بعث إلى أبي عبيدة يقول له: أرسل إليَّ الرجل منكم الذي كان قبلك أميرا - يعني خالد بن الوليد - وهذا لاينطبق على كون المعركة في شهر جمادى الآخرة من العام الثالث عشر لأن الأمير كان آنذاك أبا عبيدة ثم كان خالدا بتأمير أبي بكر لهما([[58]](#footnote-58)) .

4- جاء في حوار خالد مع باهان قبيل المعركة قوله « وقد علمتَ وبلغك ما أسأل وما أطلب وما أدعو إليه، وقد جاءك بذلك أصحابك ومن لقينا منكم بأجنادين ومرج الصفَّر وفحل ومدائنكم وحصونكم».

فهذا دليل على تأخر معركة اليرموك عن هذه المعارك المذكورة وعن فتح المدائن التي من أبرزها دمشق وحمص([[59]](#footnote-59)).

5- جاء في أحداث معركة فحل أن عكرمة بن أبي جهل حضرها وكان له دور بارز فيها وأنه حضر اليرموك وقتل فيها، فهذا دليل على تأخر معركة اليرموك عن معركة فحل .

6- ذكر الإمام الذهبي رواية عن جابر بن عبد الله أنه قال : « كنت في الجيش الذي مع خالد الذين أمَدَّ بهم أبا عبيدة وهو محاصر دمشق ... » ([[60]](#footnote-60)) .

فهذا يدل على أن وصول خالد إلى الشام كان أثناء حصار المسلمين دمشق وليس في أثناء معركة اليرموك .

7 – أخرج الحافظ عبد الرزاق من خبر إبراهيم النخعي قال:... وقد قاتلن نساء قريش يوم اليرموك حين رهقهم جموع الروم حتى خالطوا عسكر المسلمين ، فضرب النساء يومئذ بالسيوف في خلافة عُمَر رضي الله عنه([[61]](#footnote-61)).

8 – ما جاء في خبر إسلام الطفيل بن عَمْرو الدوسي الذي أخرجه المؤرخ ابن إسحاق، وفيه : فقُتل رحمه الله شهيدًا باليمامة ، وجُرح ابنه جراحة شديدة ثم استبلَّ منها ، ثم قتل عام اليرموك في زمن عُمَر شهيدًا([[62]](#footnote-62)) .

ففي هذين الخبرين أن معركة اليرموك جرت في عهد أمير المؤمنين عُمَر وليست في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنهما.

وحيث تبين لنا أن هذه المعركة هي آخر المعارك الكبرى في الشام فهي المعركة الفاصلة حيث لم يقم للروم بعدها قائمة في بلاد الشام، فقد كان ملك الروم مرابطا في أنطاكية ينتظر أخبار هذه المعركة ليقرر بعدها مواصلة القتال واستعادة ملك الشام إن كانت المعركة لهم أو الجلاء عن الشام إلى غير رجعة إن كانت عليهم .

بلوغ هزيمة الروم ملك الروم :

قال أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي: وحدثني عبيد الله بن العباس قال : إن الهزيمة لما انتهت إلى ملك الروم، وهو بأنطاكية، فكان أول من جاءه رجل من المنهزمة ، فأخبره بهزيمة الروم، قال: قد كنت أعلم أنهم سيهزمونكم .

قال: فقال له بعض جلسائه : ومن أين علمت ذلك أيها الملك ؟

قال: من حيث أنهم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة، ويرغبون في الآخرة أشد من رغبتكم في الدنيا، فلا يزالون ظاهرين ماكانوا هكذا ، وليغيِّرنَّ كما غيَّرتم ، ولينقضُنَّ كما نقضتم .

وروى بإسناده عن عبد الله بن قرط الثمالي قال: فإنه - يعني ملك الروم - لكذالك إذ جاءه رجل عظيم من عظماء الروم، فقال له الملك: ماوراءك؟ قال الشرُّ هُزمنا .

قال: فما فعل أميركم باهان؟ قال :قُتل،قال: فلان وفلان وفلان، فسمى له عددًا من أمرائه وبطارقته وفرسان الروم، قال: قتلوا.

فقال له : ولكنك أنت والله أخبث وألأم وأكثر من أن تذُبَّ عن دين أو تقاتل عن دنيا .

ثم قال لشرطه : أنزلوه ، فأنزلوه ، فجاءوا به، فقال له: ألست أنت كنت أشد الناس عليَّ في أمر محمد نبيّ العرب حين جاءني كتابه ورسوله؟ وكنتُ قد أردت أن أجيبه إلى ما دعاني إليه، وأدخل في دينه، فكنتَ أنت من أشد الناس علي حتى تركت ماكنت أريد من ذلك ، فهلاَّ قاتلتَ الآن قوم محمد وأصحابه دون سلطاني، وعلى قدر ماكنتُ لقيتُ منك إذ منعتني من الدخول في دينه ؟ اضربوا عنقه، فقدموه ، فضربوا عنقه .

ثم نادى في أصحابه بالرحيل إلى القسطنطينية راجعا، فلما خرج من أرض الشام وأشرف على أرض الروم استقبل الشام بوجهه فقال: السلام عليك ياسورية، سلام مودِّع، لايرى أنه يرجع إليك أبدا.

ثم أقبل على أرضه، فنظر إليها وقال:ويحك أرضا،ماأنفعك لعدوك لكثرة مافيك من العشب والخصب والخير([[63]](#footnote-63)).

وهكذا كان هرقل مصدقًا بالإسلام بقلبه ويعلم أن رسول الله هو النبي الذي بشر به أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام، منذ وصل إليه كتاب النبي يدعوه إلى الإسلام ، وسأل عنه أبا سفيان وصحبه، وقد جمع عظماء الروم آنذاك ودعاهم إلى الإسلام فأبوا جميعًا إباءً شديدًا ([[64]](#footnote-64)).

لقد كان هرقل يريد أن يدخل في الإسلام هو وقومه ويبقى على ملكه، فلما كان الخيار بين الإسلام والملك اختار الملك ولم يسلم .

وكان موقنًا بانتصار المسلمين في كل حروبهم مع الروم، ولكنه كان مضطرًا لبعث الجيوش لقتالهم لأنه لم يكن يتصرف بإرادته وإنما كان يتصرف بإرادة زعماء دولته.

وقد ظهر غضبه - في هذا الخبر - من ذلك الزعيم الرومي الذي جاءه بخبر الهزيمة ، حيث تذكَّر أنه كان من أشد الذين وقفوا في وجهه حين دعاهم للإسلام، فقتله بسبب ذلك مع عدم ثباته في الدفاع عن دينه الذي أظهر تصلُّبه في اتباعه .

رسالتان بين أبي عبيدة وعمر :

قال أبو إسماعيل الأزدي : وكتب - يعني أبا عبيدة - إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، حين أظهره الله على أهل اليرموك، وخرج يطلبهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أمير المؤمنين، من أبي عبيدة ابن الجراح، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد ، فالحمد لله الذي أهلك المشركين ونصر المسلمين، وقديما ماتولى الله أمرهم، وأظهر فَلجهم، وأعز دعوتهم، فتبارك الله رب العالمين ، أُخبر أمير المؤمنين، أكرمه الله أنا لقينا الروم، وهم في جموع لم تلق العرب مثلها جموعًا قط، فأتوا وهم يرون أن لاغالب لهم من الناس أحد ، فقاتلوا المسلمين قتالا شديدًا، ماقوتل المسلمون مثله في موطن قط، ورزق الله المسلمين الصبر، وأنزل عليهم النصر، فقتلهم الله في كل قرية وكل شعب، وكل واد وجبل وسهل، وغنم المسلمون عسكرهم، وماكان فيه من أموالهم ومتاعهم، ثم إني أتبعتهم بالمسلمين حتى بلغت أقاصي بلاد الشام، وقد بعثت إلى أهل الشام عُمَّالي ، وقد بعثت إلى أهل إيلياء ، أدعوهم إلى الإسلام ، فإن قبلوا وإلا فليؤدوا إلينا الجزية عن يد وهم صاغرون، فإن أبوا سرت إليهم حتى أنزل بهم ، ثم لا أزايلهم حتى يفتح الله على المسلمين ، إن شاء الله ، والسلام عليك .

فكتب إليه أمير المؤمنين عمر :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فقد أتاني كتابك، وفهمت ماذكرت فيه من إهلاك الله المشركين، ونصره المؤمنين، وماصنع الله لأوليائه وأهل طاعته، فأحمد الله على حسن صنيعه إلينا، وأسْتَتِمَّّ الله ذلك بشكره([[65]](#footnote-65)) ، ثم اعلموا أنكم لم تظهروا على عدوكم بعدد ولا عدّة، ولاحول ولاقوة، ولكنه بعون الله ونصره ومَنِّه، وفضله ، فلله الطَّوْل والمنُّ والفضل العظيم، فتبارك الله أحسن الخالقين ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام([[66]](#footnote-66)).

مواقف بطولية لبعض المسلمين :

في هذا العنوان أذكر مواقف بطولية لبعض المجاهدين مما لم يرد له ذكر أثناء الكلام على المعركة :

1 – موقف للزبير بن العوام ، وفي بيان ذلك يقول الحافظ ابن كثير: وقد كان فيمن شهد اليرموك الزبير بن العوام ، وهو أفضل من هناك من الصحابة، وكان من فرسان الناس وشجعانهم ، فاجتمع إليه جماعة من الأبطال يومئذ فقالوا: ألا تحمل فنحمل معك ؟ فقال : إنكم لاتثبتون ، فقالوا : بلى ، فحمل وحملوا فلما واجهوا صفوف الروم أحجموا وأقدم هو فاخترق صفوف الروم حتى خرج من الجانب الآخر وعاد إلى أصحابه ، ثم جاؤوا إليه مرة ثانية ففعل كما فعل في الأولى ، وجُرح يومئذ جرحين بين كتفيه ، وقد روى البخاري معنى ماذكرناه في صحيحه ([[67]](#footnote-67)) .

وماذكره من رواية الإمام البخاري هو ما أخرجه في صحيحه من حديث عروة ابن الزبير عن أبيه « أن أصحاب النبي قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك : ألاَ تشدُّ ونشدُّ معك ؟ فحمل عليهم ، فضربوه ضربتين على عاتقه ، بينهما ضربة ضُربها يوم بدر، قال عروة : فكنت أُدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير » ([[68]](#footnote-68)) .

وهذا مَثلٌ مما كان يتصف به الزبير بن العوام من الشجاعة الفائقة والإقدام الشديد ، ومع هذه المغامرة الجريئة فإنه لم يُصب إلا بضربتين غير قاتلتين ، وذلك لأن الشجاع القوي الذي يُقدم ببسالة لايقف الأعداء أمامه في الغالب، بل يفرون عنه لينجوا بأنفسهم إن استطاعوا .

2- ومن ذلك موقف لعكرمة بن أبي جهل فقد قال ذلك اليوم : قاتلت رسول الله في كل موطن وأفرُّ منكم اليوم ! ثم نادى :من يبايع على الموت ؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدَّام فسطاط خالد حتى أُثبتوا جميعًا جراحا وقُتلوا إلا من برأ ([[69]](#footnote-69)) .

قال ابن كثير : وقد ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء فلما قُربِّت إلى أحدهم نظر إليه الآخر فقال : ادفعها إليه ، فلما دُفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه ، فتدافعوها كلهم من واحد إلى واحد حتى ماتوا جميعًا ولم يشربها أحد منهم أجمعين ([[70]](#footnote-70)) .

وقد مات عكرمة بعدما أبلى بلاء عظيمًا سواء في هذه المعركة أو ما سبقها من المعارك منذ أن دخل في الإسلام .

3- وكان لأبي سفيان دور كبير في تثبيت المسلمين وإثارة حماسهم وكان لكبر سنه لايقاتل ولكنه يدور على المسلمين ويثبتهم حتى مرَّ على ابنه يزيد فقال له: يابني عليك بتقوى الله والصبر فإنه ليس رجل بهذا الوادي من المسلمين إلا محفوفًا بقتال، فكيف بك وبأشباهك الذين وَلُوا أمور المسلمين ؟ أولئك أحق الناس بالصبر والنصيحة،فاتق الله يا بني ولايكوننَّ أحد من أصحابك بأرغب في الأجر والصبر في الحرب ولا أجرأ على عدو الإسلام منك · فقال: أفعل إن شاء الله ، فقاتل يومئذ يزيد قتالا شديدًا .

وعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: هدأت الأصوات يوم اليرموك فسمعنا صوتًا يكاد يملأ العسكر يقول : يانصر الله اقترب، الثبات َ الثبات يامعشر المسلمين ، قال: فنظرنا فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد ([[71]](#footnote-71)) .

4- وأخرج الأزدي من خبر سهل بن سعد قال: وأقبل يومئذ عمرو بن الطُّفيل بن ذي النور وهو يقول : يامعشر الأزد ، لايؤتيَنَّ المسلمون من قِبَلِكم ، وأخذ يضرب بسيفه متقدمًا عليهم، وقاتل قتالا شديدًا ، وقَتَل من أشدائهم تسعة ، ثم قتل رحمه الله.

ونادى أبو هريرة ، يامبرور ، يامبرور ، فأطافت به الأزد ([[72]](#footnote-72)) .

5- أخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من خبر عبد الأعلى بن سُراقة قال: انتهيت إلى أبي هريرة يومئذ وهو يقول: تزينوا للحور العين ، وارغبوا في جوار ربكم في جنات النعيم، فما أنتم إلى ربكم في موطن من مواطن الخير أحب إليه منكم في هذا الموطن، ألا وإن للصابرين فضلهم .

قال: وأطافت به الأزد ، ثم اضطربوا هم والروم، فو الذي لا إله إلا هو لرأينا الروم وإنها لتدور بهم الأرض وهم في مجال واحد كما تدور الرَّحا، فما برحوا ولازالوا ، وركبهم من الروم أمثال الجبال، فما رأيت موطنا قطّ أكثر قحفًا ساقطا([[73]](#footnote-73)) ، أو معصما نادرا، أو كفًا طائحة من ذلك الموطن ، وقد والله أوحلناهم شرًّا وأوحلونا([[74]](#footnote-74)) .

6- أخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من خبر حنظلة ابن جُوَيَّة قال: والله إني لفي الميسرة إذ مرّ بنا رجال من الروم على خيل العرب، لايشبهون الروم وهم أشبه شيء بنا، فما أنسى قول قائل منهم : يامعشر العرب الحقوا بوادي القرى ويثرب ، وهو يقول :

في كـلّ حـــــين فـئَةٌ تُـغيرُ نَحْنُ لَنَا الْبَلْــقَاءُ والسَّديرُ

هَيْهاَتَ يأبَـى ذَلــك الأميرُ والمــلـك المُتَـوّجُ الْمَخـْبَورُ

قال : وأحمل عليه ، وحمل عليّ ، واضطربنا بسيفينا، فلم يغننا شيئًا .

قال : ثم إني اعتنقته فخررنا جميعا ، فاعتركنا ساعة ، ثم إنا تحاجزنا ساعة .

قال : فنظرت إلى عنقه وقد بدا منه مثل شراك النعل، فمشيت إليه، واعتهدت ذلك الموضع بسيفي ، فو الله ماأخطأته ، فقطعته ، وصرع ، فضربته حتى قتلته، وأقبلت إلى فرسي وقد كان عار([[75]](#footnote-75)) وإذا قومي قد حبسوه علي، فأقبلت حتى ركبته ([[76]](#footnote-76)) .

7 - قال حنظلة بن جوية في هذه الرواية : وقاتل قبَاث بن أشيم يومئذ قتالا شديدًا ، وكسر في ذلك اليوم ثلاثة أرماح ، وَقطع سيفين، وأخذ يقول كلما قطع سيفًا أو كسر رمحًا : من يعين بسيف أو برمح في سبيل الله رجلا قد حبس نفسه مع أولياء الله، وقد عاهد الله لايفر ولايبرح، يقاتل المشركين حتى يُظهر الله المسلمين أو يموت· وكان من أحسن الناس بلاء يومئذ ([[77]](#footnote-77)) .

8- أخرج أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي من خبر حبيب بن مسلمة قال: وشد على عمرو بن العاص جماعة من الروم، فانكشف عنه أصحابه، وثبت عمرو، فجالدهم طويلا، وقاتلهم قتالا شديدًا، ثم إن أصحابه تراجعوا إليه ، فلسَمِعْتُ أم حبيبة ابنة العاص وإنها لتقول : قبح الله رجلا يفر عن حليلته،وقبح الله رجلا يفر عن كريمته([[78]](#footnote-78)).

وهذا موقف يذكر لعمرو بن العاص في الشجاعة والثبات وإن كانت شهرته في الدهاء والسياسة ، وكون الرجل يجمع بين الشجاعة والرأي من صفات الكمال في الرجال .

9- قال حبيب بن مسلمة في هذه الرواية : وقاتل شرحبيل بن حسنة في رُبعه الذي كان فيه قتالا شديدًا ، وكان وسطًا من الناس، إلى جانب سعيد بن زيد، وجعل ينادي ، ويقول : ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ [ التوبة : 111].

ثم يقول: أين الشارون أنفسهم ابتغاء مرضاته أين المشتاقون إلى جوار الله في داره؟

فاجتمع إليه ناس كثير ، وبقى القلب لم ينكشف فيه أهله الذين كانوا فيه مع سعيد بن زيد .

وكان أبو عبيدة من وراء ظهور المسلمين ردءًا لهم ([[79]](#footnote-79)) .

10- قال أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي : وحدثني أبو عبد الله بن الحسين، أن الأشتر([[80]](#footnote-80)) كان من جلداء الرجال ومن أشدائهم وأهل القوة منهم والنجدة · وأنه قَتل يوم اليرموك قبل أن ينهزموا أحد عشر رجلا من بطارقتهم ، وقتل ثلاثة منهم مبارزة .

وأقبل الأشتر مع خالد بن الوليد حين طلب الروم وحين انهزموا، فلما بلغوا ثَنيَّة العُقاب من أرض دمشق، وهو يهبط الهابط منها من قِبَل حمص، فيقع في الغوطة، غوطة دمشق، وعلى ثنية العقاب جماعة عظيمة من الروم ، فلما انتهوا إلى تلك الجماعة من الروم يرمون المسلمين من فوقهم ، فتقدم إليهم الأشتر في رجال من المسلمين ، وإذا أمام الروم رجل من عظمائهم وأشدائهم، وهو عظيم جسيم، فمضى إليه الأشتر فلما دنا منه وثب الأشتر ، فاستوى هو والرومي على صخرة مستوية، فاضطربا بسيفيهما، فضرب كف الرومي، فأطار كفه، وضرب الرومي الأشتر بسيفه، فلم يضره شيئًا، واعتنق كل منهما صاحبه، ثم دافعه الأشتر من فوق الصخرة، فوقعا عنها، ثم تدحرجا، فأخذ الأشتر يقول وهو في ذلك ملازم العلج لايتركه وهما يتدحرجان : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ[الأنعام162 – 163].

فلم يزل يقول ذلك حتى انتهى إلى موضع مستوٍ من الجبل وقرار، فلما استقرا جميعًا وثب الأشتر على الرومي، فقتله، ثم صاح في الناس : أن جوزوا ، فجاز الناس.

فلما رأت الروم ذلك ،وأن صاحبهم قد قتله الأشتر خلوا سبيل العقبة للناس ، ثم انهزموا ([[81]](#footnote-81)) .

وهكذا استطاع الأشتر أن يفتح الطريق للمسلمين بقتل عظيم الروم الذي كانوا يتقون به ، وهو مثل من أمثلة الشجاعة الفذة والإقدام المندفع ، حيث ينسى المغامر نفسه وحياته في سبيل خدمة المثل العليا التي يؤمن بها .

10- أما نساء المسلمين فكان لهن عمل مهم أثناء القتال حيث قمن بتأنيب المتراجعين إلى الوراء وتثبيتهم ، فإنهم لما انكشف بعض المسلمين من الميمنة والميسرة استقبلتهم النساء ومعهن عمد الخيام والحجارة حتى ردَدْنَهم إلى المعسكر .

وصاحت نسوة من المسلمين يقلن : قاتلوا أيها المسلمون فلستم ببعولتنا إن لم تمنعونا،فكان لذلك أثر في تراجع المنكشفين إلى مواقفهم.

وكان لبعضهن مشاركة في قتال من اقترب منهن من الكفار ([[82]](#footnote-82)) .

كما جاء عن إبراهيم النخعي رحمه الله حينما سئل عن جهاد النساء قال: كنَّ يشهدن مع رسول الله فيداوين الجرحى ويسقين المقاتلة ، ولم أسمع معه بامرأة قتلت ، وقد قاتلن نساءُ قريش يوم اليرموك حين رهقهم جموع الروم حتى خالطوا عسكر المسلمين ، فضرب النساء يومئذ بالسيوف في خلافة عمر ([[83]](#footnote-83)) .

هذا إضافة إلى مهمتهن المعروفة دائمًا من سقي الجرحى وتضميد جراحهم .

فهذه المواقف وأمثالها مما مر علينا في الكلام على هذه المعركة تبين لنا عظمة المسلمين وتفوقهم في الحياة الجهادية لأنهم جعلوا الجهاد هو قضيتهم الكبرى ، فبرعوا فيه وفاقوا أبطال الأمم الذين يُعَدُّ الواحد منهم عن ألف مقاتل ، حتى أصبح الرعب منهم يسبقهم في كل موطن فيزلزل أقدام أعدائهم ، ويهيئهم للهزيمة والفشل .

وإن ماقامت به النساء المؤمنات من تثبيت المجاهدين وتقريع المنهزمين يُعدُّ جهدًا عاليًا كان له دور جيد في تماسك المؤمنين وثباتهم .

وإن ماقامت به بعضهن من المشاركة في القتال دفاعًا عن أنفسهن يُعدُّ تضحية عالية وإسهامًا جيدًا في تخفيف العبء عن الرجال.

ولقد أدرك الأعداء الذين اخترقوا صفوف المؤمنين أنه ليس من السهل الاستيلاء على نساء المسلمين لأن كل واحدة منهن تُفَضِّل أن تُقتَل عن أن تقع أسيرة بيد الأعداء.

فهرس الموضوعات

| **الموضوع** | **الصفحة** |
| --- | --- |
| المقدمة ................................................. | 5 |
| معركة اليرموك ......................................... | 7 |
| استعداد الروم للمعركة .................................. | 7 |
| مشورة أبي عبيدة مع قادته ............................... | 9 |
| رسالة من أبي عبيدة إلى عمر ............................. | 13 |
| رسالة من عمر إلى أبي عبيدة ............................. | 16 |
| مشورة أخرى مع القادة ................................. | 18 |
| كتاب من عمرو بن العاص إلى أبي عبيدة ................. | 21 |
| كتاب من أبي عبيدة إلى عمرو ............................ | 22 |
| رسالة من عمرو بن العاص إلى الروم .................... | 23 |
| مثل من فساد قادة الروم ................................ | 28 |
| رسالتان من أبي عبيدة وعمر ............................ | 33 |
| عدد أفراد الجيشين ...................................... | 40 |
| مكان التقاء الجيشين .................................... | 43 |
| مناوشة بين بعض الجيشين ............................... | 46 |
| تنظيم جيش المسلمين ................................... | 48 |
| مبارزة ومناوشاة ........................................ | 54 |
| عدول الروم إلى المفاوضات ............................. | 58 |
| حوار خالد مع الروم ................................... | 67 |
| مشورة باهان لأصحابه ................................. | 81 |
| استعداد الجيشين للمعركة .............................. | 85 |
| عيون للمسلمين ........................................ | 89 |
| مبشرات بالنصر ....................................... | 90 |
| إنذار الروم بالهزيمة ..................................... | 94 |
| استعداد الجيشين للمواجهة ............................. | 96 |
| وصف المعركة ........................................... | 100 |
| تحديد تاريخ المعركة ..................................... | 115 |
| بلوغ هزيمة الروم ملك الروم ........................... | 120 |
| رسالتان بين أبي عبيدة وعمر ............................. | 123 |
| مواقف بطولية لبعض المسلمين .......................... | 125 |
| فهرس المحتويات ....................................... | 137 |

1. ( ) فتوح الشام للأزدي / 151 – 153 ، وانظر تاريخ دمشق 2/144 . [↑](#footnote-ref-1)
2. ( ) فتوح الشام للأزدي /153 – 156 بتصرف ، وانظر تاريخ دمشق 2/145 . [↑](#footnote-ref-2)
3. ( ) فتوح البلدان للبلاذري /187 . [↑](#footnote-ref-3)
4. ( ) فتوح الشام /156 – 158 . [↑](#footnote-ref-4)
5. ( ) فتوح الشام /159 . [↑](#footnote-ref-5)
6. ( ) يعني ميسرة بن مسروق العبسي ، وكان أشار بالرحيل واجتماع جيوش المسلمين في مكان واحد ووافقه على ذلك بقية أهل الرأي . [↑](#footnote-ref-6)
7. ( ) وهكذا عامل أبو عبيدة أهل دمشق كما عامل أهل حمص ، وقد بينت سابقا أن ذلك كان مثالا للورع والتقوى والتخلق بمكارم الأخلاق . [↑](#footnote-ref-7)
8. ( ) التخوم بالضم الحدود . [↑](#footnote-ref-8)
9. ( ) أي جموعها . [↑](#footnote-ref-9)
10. ( ) فتوح الشام للأزدي / 160 – 162 . [↑](#footnote-ref-10)
11. ( ) فتوح الشام للأزدي / 162 . [↑](#footnote-ref-11)
12. ( ) فتوح الشام للأزدي / 168 . [↑](#footnote-ref-12)
13. ( ) فتوح الشام للأزدي /165- 166 . [↑](#footnote-ref-13)
14. ( ) فتوح الشام للأزدي /166-168 . [↑](#footnote-ref-14)
15. ( ) فتوح الشام /175 – 177 . [↑](#footnote-ref-15)
16. ( ) فتوح الشام /180 – 184 . [↑](#footnote-ref-16)
17. ( ) فتوح الشام /208 . [↑](#footnote-ref-17)
18. ( ) فتوح الشام /167 . [↑](#footnote-ref-18)
19. ( ) فتوح الشام /168 – 169 . [↑](#footnote-ref-19)
20. ( ) تاريخ الطبري 3/393 . [↑](#footnote-ref-20)
21. ( ) فتوح الشام /174 . [↑](#footnote-ref-21)
22. ( ) أبو بشير التنوخي كان نصرانيًا وجاء مع الروم ثم أسلم كما تقدم. [↑](#footnote-ref-22)
23. ( ) فتوح الشام / 178 – 179 . [↑](#footnote-ref-23)
24. ( ) يعني أنه شديد البأس . [↑](#footnote-ref-24)
25. ( ) فتوح الشام /187 – 191 . [↑](#footnote-ref-25)
26. ( ) الكردوس الكتيبة وهي جزء من الجيش . [↑](#footnote-ref-26)
27. ( ) الحجال القباب والستور . [↑](#footnote-ref-27)
28. ( ) أي انتظر . [↑](#footnote-ref-28)
29. ( ) فتوح الشام /191 – 194 . [↑](#footnote-ref-29)
30. ( ) يعني الحارث بن عبد الله الأزدي . [↑](#footnote-ref-30)
31. ( ) فتوح الشام /194 – 207 . بتصرف . [↑](#footnote-ref-31)
32. ( ) فتوح الشام /208 – 210 . [↑](#footnote-ref-32)
33. ( ) أي يلتصقون . [↑](#footnote-ref-33)
34. ( ) فتوح الشام /210 – 211 . [↑](#footnote-ref-34)
35. ( ) أي مما أصاب أقدامه من الحفا . [↑](#footnote-ref-35)
36. ( ) تاريخ الطبري 3/397 – 398 . [↑](#footnote-ref-36)
37. ( ) فتوح الشام /211 – 212 . [↑](#footnote-ref-37)
38. ( ) أي ظني وما قلت في نفسي . [↑](#footnote-ref-38)
39. ( ) فتوح الشام /212 – 214 . [↑](#footnote-ref-39)
40. ( ) فتوح الشام /214 – 216 . [↑](#footnote-ref-40)
41. ( ) أي بلدا بلدا . [↑](#footnote-ref-41)
42. ( ) الحجل نوع من الطيور . [↑](#footnote-ref-42)
43. ( ) فتوح الشام /217 – 220 ، وانظر تاريخ دمشق 2/148 – 149 . [↑](#footnote-ref-43)
44. ( ) فتوح الشام 220 – 221 ،وانظر تاريخ دمشق 2/150 – 151 . [↑](#footnote-ref-44)
45. ( ) الخيفان الكثرة من الناس . [↑](#footnote-ref-45)
46. ( ) فتوح الشام /222 – 223 ، وانظر تاريخ دمشق 2/151 – 152 . [↑](#footnote-ref-46)
47. ( ) فتوح الشام للأزدي / 225 – 226 ، وانظر تاريخ دمشق 2/154 . [↑](#footnote-ref-47)
48. ( ) فتوح الشام / 229 – 230 . [↑](#footnote-ref-48)
49. ( ) فتوح الشام /228 ،وانظر تاريخ دمشق 2/155 . [↑](#footnote-ref-49)
50. ( ) تاريخ الطبري 3/398 . [↑](#footnote-ref-50)
51. ( ) تاريخ الطبري 3/400 . [↑](#footnote-ref-51)
52. ( ) تاريخ الطبري 3/400 ، فتوح الشام للأزدي / 94 – 95 . [↑](#footnote-ref-52)
53. ( ) فتوح الشام للأزدي / 231 ، وانظر تاريخ دمشق 2/158 – 159 . [↑](#footnote-ref-53)
54. ( ) البداية والنهاية 7 ، فتوح البلدان للبلاذري / 186 ، تاريخ دمشق 2/141 – 142 . [↑](#footnote-ref-54)
55. ( ) تاريخ الإسلام / الخلفاء الراشدون / 139 . [↑](#footnote-ref-55)
56. ( ) انظر « فتوح الشام » للأزدي / 156 – 159 . [↑](#footnote-ref-56)
57. ( ) انظر المرجع السابق / 149 – 151 والبداية والنهاية 7/15 . [↑](#footnote-ref-57)
58. ( ) انظر فتوح الشام للأزدي / 195 . [↑](#footnote-ref-58)
59. ( ) انظر المرجع السابق / 201 . [↑](#footnote-ref-59)
60. ( ) سير أعلام النبلاء 1/11 . [↑](#footnote-ref-60)
61. ( ) مصنف عبد الرزاق 5/298 ، رقم 9673 . [↑](#footnote-ref-61)
62. ( ) سيرة ابن هشام 1/401 . [↑](#footnote-ref-62)
63. ( ) فتوح الشام للأزدي /234 – 236 . [↑](#footnote-ref-63)
64. ( ) ينظر كتاب « وقفات مع السيرة النبوية » للمؤلف ج2 ، ص 217 . [↑](#footnote-ref-64)
65. ( ) أي اطلب تمام ذلك من الله تعالى بشكره . [↑](#footnote-ref-65)
66. ( ) فتوح الشام /243 – 244 . [↑](#footnote-ref-66)
67. ( ) البداية والنهاية 7/11 . [↑](#footnote-ref-67)
68. ( ) صحيح البخاري ، رقم 3721 ، (7/80) . [↑](#footnote-ref-68)
69. ( ) تاريخ الطبري 3/401 . [↑](#footnote-ref-69)
70. ( ) البداية والنهاية 7/12 . [↑](#footnote-ref-70)
71. ( ) فتوح الشام /228 ، البداية والنهاية 7/14 ، تاريخ دمشق 2/155 – 157 . [↑](#footnote-ref-71)
72. ( ) فتوح الشام للأزدي / 224 . [↑](#footnote-ref-72)
73. ( ) القحف العظم الذي فوق الدماغ . [↑](#footnote-ref-73)
74. ( ) فتوح الشام للازدي / 224 – 225 ، تاريخ دمشق 2/153 . [↑](#footnote-ref-74)
75. ( ) أي لم يبق على ظهره شيء . [↑](#footnote-ref-75)
76. ( ) فتوح الشام للأزدي /227 . [↑](#footnote-ref-76)
77. ( ) فتوح الشام للأزدي /227 – 228 ، تاريخ دمشق 2/155 . [↑](#footnote-ref-77)
78. ( ) فتوح الشام للأزدي / 229 ، وانظر تاريخ دمشق 2/156 . [↑](#footnote-ref-78)
79. ( ) فتوح الشام للأزدي /229 ، تاريخ دمشق 2/156 . [↑](#footnote-ref-79)
80. ( ) هو مالك بن الحارث النخعي . [↑](#footnote-ref-80)
81. ( ) فتوح الشام /233 – 234 ، وانظر تاريخ دمشق 2/158 . [↑](#footnote-ref-81)
82. ( ) فتوح الشام للأزدي / 229 ، البداية والنهاية 7/11 ، تاريخ دمشق 2/154 . [↑](#footnote-ref-82)
83. ( ) مصنف عبد الرزاق 5/298 ، رقم 9673 . [↑](#footnote-ref-83)